

روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

الإعصار الأحمر

104

www.lilias.com/vb3
eman

د. نبيل فاروق

المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

101 شارع النيل، القاهرة - 11511



د. فجيل فاروق

**رجل
المتحيل
سلسلة
روايات
للشباب
زاخرة
بالأحداث
المثيرة**

104

The BOOKSHOP



86814

Dh. 5.00

الإعصار الأحمر

- مأساة الخطة التي وضعتها منظمة روسية ، لإعادة الشيوعية إلى العالم ؟ ..
- مائتة المتظمة السرية ، التي حصلت على الخطة ، وعرضتها للبيع في (سويسرا) ؟ ..
- ثرى هل يتجح (أدهم صبرى) وزميلته الجديدة في الحصول على الخطة السرية ، التي تحمل اسم (الإعصار الأحمر) ؟ ..
- اقرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكتابك مع (رجل المتحيل) .



العدد القادم : عقارب الساعة

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرية، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو جيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسنن إلى قاذبة القنابل، وكل النوع القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته القامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى القواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - عبر الهاتف ..

أشرق صباح جديد، على العاصمة الروسية (موسكو)، وتسللت أشعة الشمس الدافئة، عبر فجوة صغيرة، وسط السحب الكثيفة الدافئة، التى تحجب السماء، فى تلك الفترة من العام، فتألفت بقعة من الثلوج بذلك الضوء الذهبى، الذى لم يلبث أن انحسر مسرعاً، مع انهيار السحب عند الفجوة، فى نفس اللحظة التى عبرت فيها سيارة صغيرة المكان، وتجاوزت الشارع الرئيسى الكبير، لتتحرف إلى شارع جانبي صغير، وتتوقف أمام مبنى قديم، من مباني ما قبل الحرب، ليهبط منها رجل قصير القامة، أصلع الرأس، ممسكاً بالجدل إلى حد ما، يطفى عينيه بمنظار شمسي داكن، فى محاولة لإخفاء شخصيته، ولم يكد يفلق باب السيارة خلفه، حتى وضع على رأسه غطاء من الفراء السميك، ورفع باقى معطفه، ليطفى الجزء الأكبر من وجهه، قبل أن يطرق باب المبنى الصغير ثلاث طرقات متتالية، ثم ينتظر لحظة، لتفتح بعدها الباب، وغشم رجل مشوق القامة :
- تفضل يا سيدى .. الجميع فى انتظارك .

عبر الرجل الباب في سرعة ، فأغلقه ممشوق القوام
خلفه في إحكام ، ثم قاده عبر ممر طويل خافت الإضاءة ،
إلى قاعة صغيرة ، اجتمع فيها خمسة من الرجال ، الذين
احتلوا يوماً أرفع المناصب ، في الحزب الشيوعي
السوفييتي ، قبل الانهيار المعروف(*) ، ولقد نهضوا
جميعاً لاستقبال القادم الجديد ، الذي حيّاهم بيده في شيء
من الترفع ، قبل أن يحتل مكانه على رأس مائدة
الاجتماعات ، قائلاً :

- أرى أنكم قد حضرتم جميعاً هذه المرة .

أجابهم متوتراً :

لم يكن هناك مفر من هذا يا (زورين) ، لقد أبلقنا
جميعاً أن هذا الاجتماع بالغ الأهمية والخطورة ، و ...
قاطعه (زورين) في غضب صارم :

- لا أسماء يا رجال .. قلت ألف مرة : لا أسماء .

شحب وجه الرجل ، وتراجع في مقعده ، متمتماً :

- معذرة .. لم أكن أقصد هذا .. لم أكن أقصده أبداً .

(*) مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، انهار الاتحاد السوفييتي
القديم ، بسبب الأزمات الاقتصادية ، التي برزت إلى السطح ، إثر سياستي
الإصلاح والمصارحة ، اللتين اتبعهما (ميخائيل جورباتشوف) ، ومع
الانهيار ، انقسم الاتحاد السوفييتي إلى دويلات صغيرة ، أكبرها (روسيا) ،
التي احتلت مكانة الاتحاد السوفييتي السابق ، في المحافل الرسمية .

ظل (زورين) يرمقه بنظرة صارمة غاضبة لثانية
أخرى ، قبل أن يقول في حزم :

- هذا الاجتماع بالغ الأهمية والخطورة بالفعل ، فاليوم
سأشرح لكم خطتي النهائية لاستعادة السيطرة على الجيش
والحكومة ، كخطوة أولى للتغلب على الانهيار ، وعودة
الاتحاد السوفييتي القديم ، بمجده وعظمته .
غمغم أحدهم :

- هذا ما ينادى به (جريتوفسكي)(*) ، ولكن الأمر
يبدو لي مستحيلاً ، بعد كل ما حدث من تغيرات اجتماعية
واقتصادية .

هز (زورين) رأسه ، قائلاً :

- لا توجد مستحيلات .. لقد درسنا الأمر من كل
جوانبه ، وسأثبت لكم أن كل شيء ممكن .

وأخرج من جيبه أسطوانة كمبيوتر ، لوّح بها قائلاً :

- هنا ، وفي هذه الأسطوانة المدمجة ، ستجدون الخطة
الكاملة لاستعادة المجد .. خطة الإعصار ، الذي سيجتاح
العالم أجمع ، ويعيد للسوفييت عظمتهم السابقة .

(*) (فلاديمير جريتوفسكي) : سياسي روسي ، ظهر في الآونة
الأخيرة ، منادياً بعودة لمجد العسكري السوفييتي القديم ، ويلقى نجاحاً واضحاً
في الأوساط الشعبية الروسية ، التي تعاني الكثير من الأزمات الاقتصادية ،
بعد انهيار الاتحاد السوفييتي القديم .

وتألفت عيناه بشدة ، وهو يستطرد في حماس مطلق :
- الإعصار الأحمر .

خفقت قلوبهم في قوة ، وعيونهم متعلقة بأسطوانة الكمبيوتر الملمجة ، التي نسها (زورين) في الفراغ الخاص بها ، في وحدة جهاز كمبيوتر كبير ، موضوع على المائدة ، ثم انتقلت أبصارهم إلى الشاشة ، و (زورين) يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلا :

- هنا ستجدون أسماء كل حلفائنا ، في أركان الاتحاد السوفيتي المختلفة .. وكما ترون ، ففيهم جنرالات من الجيش ، والبحرية ، والطيران ، وخبراء في التملح النووى ، ورجال مال ، واقتصاد ، وسياسة .. أكثر من مليون رجل ، ينتظرون إشارة واحدة منا ، ليبدءوا إعصارنا الساحق .

سأله أحد الرجال الخمسة في حماس :

- ومتى ؟ .. متى ينطلق الإعصار الأحمر ؟!

شد (زورين) قامته ، مجيبا :

- لقد بدأ العد التنازلى بالفعل أيها السادة ، وبعد أقل من أسبوعين ، سينقلب كل شيء رأسا على عقب .. لن يكون الأمر سهلا ، ولن يقف الأمريكيون صامتين ، حتى نستعيد سطوة الاتحاد السوفيتي ، ونعيد الشيوعية ، التي

اعتبروها دوما عدوهم الأول .. ولهذا فالخطة قاسية وعنيفة .. سنضحي فيها بالكثير ، في سبيل النصر الدائم .. وربما اضطررنا لضرب عدد من الدول بالرءوس النووية ، مثل (أفغانستان) ، و (ألمانيا) و (مصر) ، وفي الخطوة التالية سنضطر إلى ...

قاطعه بغتة أزيز مياغت ، انطلق من جهاز الكمبيوتر ، الذي حملت شاشته عبارة متألقة ، تعغل خارجي ، .. امتنع لها وجه (زورين) ، وهتف في ارتياح عصبى :
- مستحيل !.. مستحيل !.. ماذا يحدث هنا يا (بوري) ؟
انقضّ مشوق القامة على جهاز الكمبيوتر ، وانتزعه من مكانه ، ثم أطلق صرخة غاضبة ، وهو يحدق في ذلك الجسم الصغير ، الذي التصق بقاعدته ، وامتنكت منه أسلاك رفيعة إلى داخل الكمبيوتر نفسه ..

وعرف (زورين) ذلك الجسم الصغير من النظرة الأولى .. إنه جهاز تصنّعت خاص ، على أجهزة الكمبيوتر ، يلتقط كل ما تحويه ذاكرته الأساسية والإضافية ، ويثبه لاسلكيا إلى نصفه الآخر ، عبر موجة خاصة ، تنقل كل هذا إلى ذاكرة جهاز كمبيوتر آخر ..

وتفجرت ثورة الغضب والذعر في نفس (زورين) ، وهو ينتزع الجهاز ، صارخا :

- فعلوها .. فعلوها يا (بوريس) .

توتر الموقف كله في عنف ، وصرخ أحد الرجال الخمسة :

- ماذا حدث ؟ .. ماذا حدث ؟

تجاهله (زورين) تماما ، وهو يهتف :

- ابحث عنه يا (بوريس) .. استعدما سرقوه منه ..

هذا الجهاز قصير المدى ، لن يمكنه البث لأبعد من المبنى المجاور .

زمر (بوريس) في وحشية ، واندفع يغادر المكان ، في حين شهق رجل آخر ، وهو يقول في هلع :

- (زورين) .. لقد كشفوا أمرنا .. أليس كذلك ؟ !

صاح به (زورين) :

- اخرج .. لا تتطرق بكلمة واحدة .. لا أحد يمكنه كشف

أمرنا .. إنها مشكلة بسيطة ، وسيحلها (بوريس) في دقائق معدودة .

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- خذوها كلمة مني .

هتف رجل آخر في ارتياح :

- وماذا لو لم يتجج (بوريس) هذا ؟

أجابه (زورين) في صرامة :

- سينجح .. أنا واثق من هذا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف في حزم :

- إنه تلميذي .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها (زورين) بعبارة ، كان

(بوريس) ينطلق كالوحش ، نحو المبنى المجاور ، ولم يكد

يبلغه ، حتى لمح رجلا يغادره مسرعا ، ويقفز داخل سيارة

صغيرة ، وينطلق بها نحوه ، محاولا الفرار من المكان ..

وبلا تردد ، اعترض (بوريس) طريق السيارة ، التي

لم تحاول الالتفاف حوله ، وإنما انقضت عليه مباشرة ،

فأطلق زمجرة غاضبة ، وانتظر حتى أصبحت قاب قوسين

منه ، فوثب نحوها ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، وارتطم

بزجاجها الأمامي في عنف ، ثم تشبث بها بكل قوته ، وهي

تتحرف إلى الشارع الرئيسي ..

وفي قوة عجيبة ، أمسك (بوريس) حاجز النافذة

بأصابع كالفولاذ ، وهوى بقبضته على الزجاج الأمامي

مرة ، ومرتين ، وثلاث مرات ..

ومع الضربة الثالثة ، حطمت قبضته الزجاج ،

واخترقته لتتهوى على فك قائد السيارة ، الذي تأوّه في ألم ،

وانحرف بالسيارة على الرغم منه ، فارتطمت بإفريز

الشارع ، ووثبت على نحو مخيف ، لترطم بأحد أعمدة

الإشارة ، وتتقلب في عنف ، ثم تنزلق بضعة أمتار فوق

الطوَّح ، قبل أن تستقر في وسط الشارع ..

وفي الوقت الذي اندفع فيه عدد من المارة ، مع أحد رجال الشرطة ، نحو السيارة المقلوبة ، كان (بوريس) ، الذي سقط مع الارتطام الأول ، ينهض واقفاً ، ويصيح في صرامة ، وهو يبرز بطاقة ذات طابع خاص :
- ابتعدوا .. (كى . جى . بى) (*) .

لم يكن ذلك المصطلح القديم قد فقد رهيبته بعد ، لذا فلم يكد (بوريس) ينطقه ، حتى تراجع الجميع في سرعة ، وجرى بعضهم مبتعداً عن السيارة ، التي برز الرجل من نافذتها ، وقفز منها إلى التلوج ، وراح يجري بكل قوته ، فصاح به (بوريس) ، وهو يبرز مسدسه :
- توقف وإلا ...

لم يكن يعنى مجرد التهديد بصيحته هذه ، فقد تبعها بإطلاق النار على الفور ، دون أن يمنح الرجل فرصة لتحديد موقعه ..
واخترقت إحدى رصاصات (بوريس) كتف الرجل ، الذي سقط أرضاً ، ثم عاد ينهض في سرعة ، ويعاود الجري بأقصى سرعته ، فوثب (بوريس) متجاوزاً السيارة المقلوبة ، وانطلق يعدو خلفه ، فانتزع الرجل مسدسه بدوره ، واستدار يطلق رصاصتين نحو (بوريس) ،

(*) كى . جى . بى : المخابرات السوفيتية .

الذي ألقى نفسه أرضاً متفادياً الرصاصتين ، ولكنه لم يكد ينهض ، حتى فوجئ بأن الرجل قد اختفى تماماً ، فهب واقفاً ، وصاح في غضب :
- اللعنة !.. أين ذهب ؟

وانقضّ على رجل الشرطة ، صارخاً في وجهه :
- أين ذهب الرجل ؟

أشار رجل الشرطة إلى شارع جانبي بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :
- هناك .. هناك .

دفعه (بوريس) في قسوة ، وانطلق يعدو نحو ذلك الشارع الجانبى ، ولم يكد يبلغه ، حتى انعقد حاجباه في شدة ، وهو يحقّق في بقع من الدم ، تتأثرت في خط شبه متصل ، حتى مدخل بناية قريبة ، فاندفع نحوها ، وراح يتشّبّ ببقع الدم ، التي توقفت عند باب إحدى الشقق ، فترجع (بوريس) خطوتين ، ثم أطلق النار على رتاج الباب ، وانقضّ عليه يقتحمه في عنف ..

ومن داخل الشقة ، انطلقت نغمة رصاصتان ، تفاداهما بقفزة جانبية ، ثم وثب أرضاً ، ودار حول نفسه في خفة ، قبل أن يفرغ خزانة مسدسه كلها في صدر الرجل ، الذي انتزعته الرصاصات من مكانه ، وقذفت به عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط جثة هامدة ، تاركاً بقعة رهيبة من الدم على الجدار ..

وفي جسم ، نهض (بوريس) ، وألقى نظرة صارمة
على جثة غريمه ، قبل أن يدير عينيه في المكان ..
وفجأة ، انبعث صوت خافت من ركن الردهة ، فالتفت
إليه (بوريس) في سرعة ، واعتقد حاجباه مرة أخرى ،
وهو يحتق في شاشة جهاز كمبيوتر ، حملت عبارة
مستغزة تقول :

- انتهى الإرسال .

وفي غضب ، ألغى (بوريس) على جهاز الكمبيوتر ،
وزمجر في غضب ، عندما لمح وصلة الهاتف المرتبطة
به . وانتزع منه الأسطوانة المدمجة في عنف ، والتيران
شغل في أعماقه في ثورة ..

لقد وصل متأخراً بضع لحظات ..

وفي هذه اللحظات القليلة ، نجح الرجل في نقل
محتويات الأسطوانة المدمجة ، التي تحمل خطة
(زورين) كلها عبر الهاتف ، إلى مكان ما ..
مكان مجهول ..

★ ★ ★

لقد انتهى أمرنا يا (زورين) .. انتهينا جميعاً .. ،
هتف أحد الرجال الخمسة بتلك العبارة في الهيار ، داخل
قاعة الاجتماعات السرية ، فصاح به (زورين) في صرامة
عصبية :



ثم قلب أوجها ، ودار حول نفسه في حفة ، قبل أن يفرغ خزائنه
مسندة كلها في صندوق الرجل ..

- اصمت يا رجل .. لا تفقد أعصابك بهذه السرعة .
أجابه رجل آخر :

- ولكنه نقل الخطة عبر الهاتف يا (زورين) .. نقل
كل التفاصيل ، التي تكفى لإلقاء الجميع فى السجون
والمعتقلات ، وتكفى لإعدامنا جميعًا ، لو وقعت فى يد
(يلتسن) (*) .

هتف (زورين) فى غضب :

- اصمت يا رجل .. هل نسيت من أنا ؟! .. إثنى النائب
الأول لرئيس جهاز المخابرات السوفيتى ، ومازلت أمتلك
سلطات واسعة ، وشبكة اتصالات لا بأس بها ، تمكّننى من
تدارك الأمر بقدر الإمكان .

ثم أشار إلى الهاتف ، مستطردًا فى حدة :

- ولقد أجريت اتصالاتى كما رأيتم ، وما هى إلا دقائق
معدودة .. و ...

قاطعه رنين الهاتف بغتة ، فاخطف سماعته فى
سرعة ، ووضعها على أذنه ، قائلاً :

- هنا (زورين) .. ماذا لديكم ؟

(*) (بوريس يلتسن) : (١٩٣١ -) : رئيس (روسيا)
الحالى . وهى أكبر دولات الاتحاد السوفيتى السابق ، وهو من كبار المنادين
بسياسة الإصلاح الاقتصادى الجديدة ، ولكن سياسته أدت إلى العديد من
الآزمات ، وإلى انتشار الفقر والبطالة فى (روسيا) .

التقى حاجباه ، وهو يستمع إلى محادثته فى اهتمام ، قبل
أن يغمغم :

- إذن فلم تكن محادثة محطية ، بل كانت محادثة
دولية .. رقم فى (برن) .. (سويسرا) .. عظيم .. هذا
يعنى أنه ليس جاسوسًا محطيًا أو أمريكيًا على الأقل ..
نعم .. تابعوا البحث .. كل معلومة جديدة ستفيد كثيرًا
بالتأكيد .

وأنتهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى الرجال الخمسة ،
قائلاً :

- لقد نقل الخطة عبر الهاتف ، إلى كمبيوتر آخر فى
(برن) .

قال أحدهم متوترًا :

- وما أدراك أنه ليس أحد مكاتب المخابرات المركزية
الأمريكية هناك ؟

نوح (زورين) بيده ، قائلاً :

- إننا نحفظ أرقام مكاتبهم فى كل أنحاء العالم ، عن
ظهر قلب ..

وعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يستطرد فى صرامة :

- ثم إن تلك الرجل ، الذى تخلص منه (بوريس) ليس
أمريكيًا ، ولا نعتقد أنه عميل للمخابرات المركزية الأمريكية ،

ولا للمكتب السادس البريطاني ، فهو لم يتبع أحد الأساليب التقليدية للجهازين .. إنه - على الأرجح - يتبع منظمة تجسس خاصة ..

هتف أحدهم ذاهلاً :

- منظمة تجسس خاصة ؟! .. لم أسمع عن هذا في حياتي قط .

أجابه (زورين) في حزم :

- لأنك لم تعمل في مجالنا قط .

ثم نوح بيده ، وهو يلتقط ساعة الهاتف ، مضيفاً :

- ولكن هذا لا يهم ، فأياً كان خصمنا ، سنبدأ تحركاتنا

من هذه اللحظة ، فهذا أحد الدروس التي تتعلمها ، مع خطوطك الأولى في مجالنا .

وضغط أزرار رقم سرى خاص ، مستطرداً في حزم :

- ألا تضع لحظة واحدة .

وكان هذا إيذاناً ببداية معركة جديدة ..

ورهيبة ..

★ ★ ★

٢ - من ؟! ..

رفع مدير المخابرات العامة المصرية عينيه ، عن الأوراق التي انهمك طويلاً في مراجعتها ، ليستقبل (أدهم صبرى) في مكتبه ، وهو يقول في لهجة حازمة ، تشق عن أمة الأمر وخطورته :

- مرحباً يا (ن - ١) .. اجلس ، فالحديث بيننا سيطول .

اتخذ (أدهم) مجلسه ، وهو يسأل :

- هل الأمر خطير إلى هذا الحد يا سيدي ؟

أراح المدير أوراقه جانباً ، وهو يقول في اقتضاب :

- بالتأكيد .

ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسأل في

صرامة :

- قل لي يا (ن - ١) : ألم تنتبه إلى أن رحلاتك إلى

الولايات المتحدة الأمريكية تزايدت إلى حد كبير ، في

الآونة الأخيرة ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

- إتنى أذهب للاطمئنان على (منى) يا سيدي ، فمَنْذ
إصابتهنا هناك ، ووقوعها ضحية غيبوبة عميقة (*) ،
وأنا ...

قاطعه المدير فى حدة :

- عذر أقبح من ننب يا (ن - ١) .. أنت رجل
مخابرات محترف ، وتعلم أن هذا الأسلوب العاطفى
مرفوض تماماً فى عملنا .. أنا أعرف مدى ارتباطك بالرائد
(منى توفيق) ، ولكن التعل عمل .. لا يتبقى أبداً أن
نبحث عنك هنا وهناك ، كلما احتجنا إليك .

تهدد (أدهم) ، قائلاً :

- أعلم هذا يا سيدي ، ولهذا أبذل قصارى جهدى الآن -
فى محاولة لتقل (منى) إلى هنا .
عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول :

- سيكون هذا أفضل بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مستطرداً :

- والآن ألق هذا الموضوع خلف ظهرك ، واستمع إلى
جيدا ، قلدى بالفعل أمر بالغ الخطورة ، يحتاج منا إلى
تحرك سريع .

اعتدل (أدهم) ، قائلاً فى اهتمام :

- كللى أذان مصغية يا سيدي .

(*) راجع قصة (الضربة القاسية) .. المغامرة رقم ١٠٠

اعتدل مدير المخابرات فى مجلسه ، وهو يقول :

- ما سأخبرك به يندرج تحت بند (السرية المطلقة)

يا (ن - ١) ، وهذا يعنى عدم اللقاء أية أسئلة ، حول
إمكانية حصولنا على هذه المعلومات .. هل تفهم هذا ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجاباً ، وقال :

- نعم يا سيدي .. بند (السرية المطلقة) ، يعنى أن

المعلومات محصورة بينك وبين السيد رئيس الجمهورية

فحسب .

أوما المدير برأسه موافقاً ، وقال :

- بالضبط .. والآن استمع إلى قصتى ..

وطوال نصف ساعة كاملة ، راح مدير المخابرات يروى

له ما حدث فى (موسكو) ، بكل ما توافر لديه من

معلومات دقيقة ، واستمع إليه (أدهم) فى اهتمام شديد ،

دون أن يقاطعه ولو لمرة واحدة ، حتى بلغ المدير تلك

النقطة ، التى أرسل فيها (زورين) رجاله إلى (برن) ،

للبحث عن نسخة الأسطوانة المدمجة ، التى تحوى الخطة

كلها ، فقال (أدهم) فى قلق :

- هذا يعنى أننا تأخرنا أربعاً وعشرين ساعة كاملة

يا سيدي ، مما يمنح الروس بعض التفوق .

هز مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

- ليس كما تتصور ، فعندما وصل الروس إلى ذلك المكان في (برن) ، عثروا على جهاز كمبيوتر فارغ ، فقد استقبل أحدهم الرسالة ، وسجل الخطة على أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، ثم اختفى .

قال (أدهم) في أسف :

- إذن فقد غادر (سويسرا) .

عاد مدير المخابرات يهز رأسه ، مجيباً :

- ليس بعد .. لدينا من المعلومات ما يؤكد لنا أن الخطة

لا تزال في (برن) .

سأله (أدهم) :

- وهل تدرج تلك المعلومات تحت بند (السرية

المطلقة) أيضاً ؟!

أجاب المدير في اقتضاب :

- نعم ..

ثم أضاف بسرعة :

- لا أحد يعلم حتى الآن الجهة التي وراء هذا العمل ،

ولكن من الواضح أنها إحدى منظمات التجسس الخاصة ،

لأنها تتفاوض الآن لبيع ما لديها بأكبر ثمن ممكن .

اعتدل (أدهم) في مقعده ، وهو يسأل في اهتمام :

- هل تلقينا عرضاً منهم ؟

هز المدير رأسه نفياً مرة أخرى ، مجيباً :
- كلاً للأسف ، فقد اتجهوا بثقلهم كله إلى الأمريكيين ، الذين لم يترددوا لحظة واحدة في قبول الصفقة ، حتى يمكنهم الحصول على تفاصيل خطة عودة الشيوعية إلى الشرق ، بعد أن تنقسوا الصعداء لانهارها منذ عدة سنوات .

ترجع (أدهم) في مقعده ، وصمت لحظة ، قبل أن يقول :

- مازلت لا أفهم .. ما دورنا نحن في اللعبة ؟!

المفروض أن الأمريكيين يرفضون عودة الشيوعية ،

وسيبذلون قصارى جهدهم لكشف الخطة ، وتدمير تلك

الطابور الخامس(*) ، الذي يخطط لعودتها ، فلماذا

لا نجلس هالدين ، وتكتفى بمراقبة الموقف من بعيد ؟

أجاب المدير :

لأننا نريد نسخة من الخطة يا (أدهم) .. لقد علمنا أنها

تتضمن ضرب (مصر) بالبرعوس النووية السوفيتية ،

ولكننا لا نعرف متى وكيف ، ولو حصل الأمريكيون على

الخطة وحدهم ، لن نعلم هذا أبداً ، وربما كان هناك خطر

يتهددنا بشكل دائم ، ونحن نجهله حتى هذه اللحظة ، ثم إن

(*) الطابور الخامس : مصطلح ابتكره الألمان ، إبان الحرب العالمية

الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ، للدلالة على سلاح من العملاء السريين ، يمكنه

التسلل إلى أي مكان ، وتحقيق نجاحات كبيرة ، دون أن يعرفه العدو .

للأمريكيين سياسة معقدة للغاية ، في التعامل مع مثل هذه الأمور ، فهم يعملون دائما إلى رعاية المعارضة ، والأفكار المضادة في كل مجتمع ، كوسيلة للضغط على نظم الحكم القائمة ، أو السيطرة عليها ، وإذا ما حصلوا على الخطة ، فربما اكتفوا باغتيال بعض جنرالات وقادة الجيش الروسى ، من المشاركين في العملية ، ثم وضعوا (زورين) والآخرين تحت سيطرتهم ، يتهديدهم بكشف أمرهم ، وبعدها يستولونهم في عمليات أخرى ، قد يكون من ضمنها تهديد (مصر) بتلك الرؤوس النووية ، التى مازلنا نجهل أين هى ، وكيف يمكنها توجيه ضربة مباشرة لنا .

ثم تتهدد فى عمق ، قبل أن يضيف فى حزم :

- باختصار .. ليس من مصلحتنا أن تقع الخطة فى أيدى الأمريكين ، وليس من مصلحتنا أيضا أن نظل مجهولة لنا .

أوما (أدم) برأسه متقلبا ، وهو يقول :

- فهمت يا سيدى .. المطلوب إذن هو أن نعترض الصلقة ، بين الأمريكين وتلك المنظمة السرية ، التى مازلنا نجهل كينونتها ، وأن نحصل نحن على الخطة ، ونمنع الأمريكين من حصولهم عليها .

أجابه المدير فى حزم :

- بالضبط .. هذه هى مهمتك بالتحديد يا (ن - ١) .

نهض (أدم) ، قائلا :

- ومتى أسافر إلى (برن) يا سيدى ؟

أجابه المدير فى هدوء :

- خلال ساعتين فحسب يا (ن - ١) . ولكن من

الضرورى أن تعرف أمرين بالفى الأهمية .. أولهما أنك لن

تعمل وحك هذه المرة .

عقد (أدم) حاجبيه ، مضغفقا :

- لن أعمل وحدى ؟!

أجابه المدير فى صرامة :

- نعم يا (ن - ١) .. سيشاركك المهمة أحد عملائنا

هناك ، وستجد عبارة التعارف السرية بينكما فى الملف

الخاص ، الذى ستركسه قبل سفرك .

لم يرق هذا الأمر لـ (أدم) ، إلا أنه كان يدرك جيدا

عدم قدرته على رفضه ، فقال فى شدة من الضيق :

- فليكن .. ما الأمر الآخر ؟

صمت المدير لحظة ، قبل أن يجيب فى حزم :

- ستواجه فى هذه العملية اثنين من خصومك القدامى ،

أحدهما على رأس الفريق الأمريكى ، والآخر على رأس

الفريق الروسى .. الأول هو (رونالد جير) ، الذى هزمته
هزيمة منكرة ، فى عمليتك السابقة فى (كراكس) (*) .

سأله (أدهم) فى شيء من الاهتمام :

- وماذا عن الثانى ١٢ .. الروسى ؟

أجابته المدير فى حسم :

- (كوريوف) .. الكوبرا .. (سيرجى كوريوف)

يا (ن - ١) (* *) .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يغمغم (أدهم) :

- رائع .. هذا يعنى أنها ستكون عملية قاسية وعنيفة ،

و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يستطرد :

- وباردة .. باردة كالثلج .

ولم يدر لحظتها أن حديثه لم يكن مجرد رأى أو تعبير ..

بل كان نبوءة ..

نبوءة حقيقية ..

لقد وصل ..

غمغم (إيفان كينسكى) ، رجل المخابرات الروسى

بالعبارة ، فى مطار (برن) ، وهو يومئ برأسه نحو رجل

(*) راجع قصة (المحترف) .. المغامرة رقم ١٠٣

(* *) راجع قصة (سم الكوبرا) .. المغامرة رقم ٥١

أشقر طويل ، صارم الملامح ، يغادر المطار إلى سيارة
أمريكية ضخمة ، تقف أمامه مباشرة ، فتطلع (سيرجى
كوريوف) إلى الرجل بدوره ، ومط شفتيه فى أذراء ، قائلاً :

- آه .. (رونالد جير) ، رجل المخابرات الرأسمالى

الصارم .. إنه لا يستطيع مقاومة نزعاته المرفهة أبداً .

هز (إيفان) كتفيه ، قائلاً :

- إنه لا يجد داعياً لهذا ، فقد قضى حياته كلها وسط

الرفاهية والرأسمالية .

قال (سيرجى) فى صرامة :

- وهذا ما يفسدهم .

تطلع إليه (إيفان) فى سخرية ، لم يلبث أن أخفاها فى

أصماقه بسرعة ، وهو يغمغم :

- ربما .

كانا يتابعان حركة سيارة (جير) فى اهتمام ، وهى

تتطلق مبتعدة عن المطار ، فأدار (إيفان) محرك

سيارتهما بدوره ، قائلاً :

- هل تتبعهما ؟

هز (سيرجى) رأسه نفياً ، وهو يجيب فى ببطء :

- كلا .. (جير) يعرفنى جيداً ، ولو وقع بصره على

مرة واحدة ، ستفسد العملية كلها .. أترك هذا الأمر

لـ (أنستازيا) .. إنها تعرف دورها جيداً .

سأله (إيفان) فى دهشة :

- لماذا أتينا إلى هنا إذن ؟

أجابته (سيرجى) فى صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

ثم أشعل سيجارة روسية ، نفّاذة الرائحة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- هيا .. دعنا نعد إلى مقر العمل .

انطلق (إيفان) بالسيارة ، قور سماع العبارة ، ثم ضغط فراملها فى قوة ، عندما كاد يرتطم بشيخ طاعن فى السن ، هبطاً من الإفريز فى اللحظة نفسها ، فصاح (سيرجى) فى غضب بالفرنسية :

- اابتعد أيها المأقون .. كدنا ندهسك بإطارات سيارتنا .

لوح الشيخ بيده ، قائلاً فى تهالك :

- ليس هكذا تعامل شيخاً فى عمر والدك .

صاح به (سيرجى) فى صرامة :

- أمثالك ينبغى أن يلحقوا بقطار الجحيم أيها الغبى .

ثم أشار إلى (إيفان) بالاتلاق ، فابتعدت سيارتهما

فى سرعة ، والشيخ يهز رأسه ، مغمغماً فى أسى :

- لم يعد الشباب يحترمون الشيوخ فى هذا الزمن .

قالها ، وهو يتابع السيارة ببصره لحظات ، قبل أن يطل من عينيه بريق حيوى ، يتعارض تماماً مع ملامحه المتقشفة ، وهو يكمل بالعربية فى سخرية :

- إذن فأنت لم تتعرفلى يا عزيزى الوغد

(كوربوف) .. هذا يؤكد أن تنكرى ناجح تماماً .

كان تنكر (أدهم) متقناً بالفعل إلى حد مدهش ، فقد

امتلاً وجهه بالتجاعيد ، وبدأ رأسه أصلع ، واحتل الشيب

فوقه بأكملهما ، واختفت عيناه خلف منظار داكن سميك ،

وانحنى ظهره على نحو يوحى بضعفه وتهالكه ، وهو يقف

أمام مبنى المطار ، فى انتظار ذلك العميل ، الذى أشار إليه

مدير المخابرات ، والذى سيتعاون معه فى هذه المهمة ..

وكعادته ، راح (أدهم) يجترأ أفكاره ومعلوماته ، فى

وقت الانتظار ..

لقد راجع ذلك الملف ، الذى أعطاه إياه مدير المخابرات

كلمة بكلمة ، وحرفاً حرفاً ..

وكل هذا قاده إلى نتيجة واحدة ..

أنه يواجه اثنين من أقوى أجهزة المخابرات فى

العالم ..

المخابرات الأمريكية ، والمخابرات السوفيتية ..

هذا بالإضافة إلى منظمة جاسوسية خاصة ، يجهل كل

شيء عن نشاطها ، ومدى قوتها وانتشارها ..

والحديث عن المنظمات الخاصة يعيد إلى ذهنه ذكريات شتى ..

ذكريات صراعه مع تلك المنظمة ، التي أنشأتها عدوته اللدود (سونيا جراهام) يوماً ..
منظمة (منك) (*) ..

وعلى الرغم منه ، تنداعى الذكريات ، حتى تصل به إلى لقائه الأول مع (سونيا) (* *) ..

ثم تصطدم بزواجه منها (* * *) ..
وبالابن الذي أنجبته منه (* * * *) ..

ذلك الابن الذي فرت به ، واختفت لفترة طويلة ، قضائها في البحث عنهما ، حتى كان ذلك اللقاء الرهيب بينهما ..
اللقاء الذي فقد فيه ابنه إلى الأبد (* * * * *) ..

هل ترغب في عبور الشارع طولياً يا سيدي ؟ ..
انتزعته العبارة من أفكاره وذكرياته ، وتعرف فيها على الفور عبارة السر المتفق عليها ، فاستدار مجيباً بالفرنسية في هدوء :

(*) راجع قصة (القتل) .. المقامرة رقم ٩٨

(* *) راجع قصة (أبواب الجحيم) .. المقامرة رقم ١٩

(* * *) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المقامرة رقم ٨١

(* * * *) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المقامرة رقم ٨٤

(* * * * *) راجع قصة (الضربة القاسمة) .. المقامرة رقم ١٠٠

- بل أفضل المبيت في الظل .

ارتطم بصره بابتسامة كبيرة ، في نفس اللحظة التي انقطعت فيها أنه العبارة الأخيرة من شقرة التعارف :

- ولم لا ؟ .. ما دامت الشمس ساطعة أكثر مما ينبغي .
وانتفى حاجباه في شدة ، وهو يحنق في وجه العميل المنتظر ..

فالواقع أنها كانت مفاجأة له ..

مفاجأة مذهشة .

★ ★ ★



انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يحذق في الشقراء
الفاتنة ، التي تقف أمامه ، والتي تبادلته معه منذ لحظة
واحدة عبارات شفرة التعارف السرية ، ثم ولقت تبسم
ابتسامة هائلة ساحرة ، تحمل مزيجا خفيا من الجذل
والخبث ، جعله يقول في صرامة :
- لم يخبروني أنك أنثى !

ابتسمت الشقراء ، ذات العينين الزرقاويين ، وهي
تقول في شيء من الخبث :

- أيصنع هذا فارقا ؟

اعتدل ، قائلا :

- بالتأكيد .

سألته في سرعة :

- وما هذا الفارق ؟

أجابها في سرعة مماثلة :

- لا يروق لي أن أعمل مع أنثى ، في الوقت الحالي .

رفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهي تقول في خبث :



انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يحذق في الشقراء الفاتنة .

التي تقف أمامه ..

- عجباً .. ما لدى من معلومات عنك ، يؤكد أنك عملت الفترة طويلة مع الزميلة (منى توفيق) .
عقد حاجبيه ، وهو يقول صارماً :

- الزميلة ١٢

أجابته فى هدوء :

- نعم .. للزميلة (منى توفيق) .. آه .. نسيت أن أقدم لك نفسى .. أنا (جيهان فريد) .. ورتبى لقيب يا سيادة العميد ، و ...

وصمتت بقية ، لتتلف حولها ، قبل أن تستعرد :
- أليس من الأفضل أن نتبعد عن هنا ١٢ .. لخشى أن يثير حديثنا انتباه البعض ، أو ...

قاطعها فى حزم :

- أين سيارتك ؟

أشارت إلى سيارة أنيقة ، قائلة :

- ها هى ذى .

اتجهت معاً إلى سيارتها ، التى انطلقت بها على الفور ، وهى تقول :

- هل تعلم أثنى والرائد (منى توفيق) تخرجنا فى دفعة واحدة ، من أكاديمية الشرطة ١٢ .. صحيح أنها تحمل رتبة رائد ، فى حين ما زلت أحمل أنا رتبة لقيب ، ولكن هذا يعود إلى أنها قد حصلت على ترقية استثنائية ، بسبب عملها معك .

ثم رمقته بنظرة جانبية ، مستطردة :
- وهذا ما أطمح إليه .

أجابها فى صرامة :

- هناك وجهان لكل عملة ، فربما حصلت (منى) على

ترقية استثنائية ، ولكنها ترقد الآن فى غيبوبة عميقة ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده متى تستيقظ منها .

هزت كتفها ، قائلة :

- القدر لا ييسر أبداً فى خطوط متوازية ، ومن المؤكد

أننى و (منى) نختلف كثيراً عن بعضنا .. هل تعلم أن لكون

شعري الأشقر هذا طبيعى ٢ .. إنه ليس مصبوغاً .. لقد

ورثته عن جدتى لأمى ، فهى ذات أصول فرنسية ، و ...

قاطعها فى حزم :

- ما تفكيرك عن الموقف ١٢؟ .. هل أرسلت من يتعقب

(جبر) ؟

أجابته فى بساطة :

- بالطبع .. لقد اتطلق خلفه أحد رجالنا ، فور مغادرته

المطار ، ونحن نعلم أن السفارة الأمريكية قد حجزت له

الجناح رقم (٧٠٦) ، فى (جنيف) ، وهذا يعنى أن

الصفقة ستعقد هناك على الأرجح .

قال فى صرامة :

- ليس هذا ضرورياً .. فى عالمنا تستخدم الأمور الواضحة للخداع فى المعتاد ، ولو أنهم حجروا الجناح باسمه فى (جنيف) ، فربما يعنى هذا أن الصفقة لن تتم هناك على الأرجح .

هزت كتفيها مرة أخرى ، قائلة :

- ربما .. المهم أننا ننتبّه طوال الوقت ، ولن يمكنه الإفلات منا قط ..

رمقها بنظرة قصيرة ، قبل أن يفهم :

- ربما :

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

- ألا تتق بنا يا سيادة العميد ؟!

تجاهل سؤالها تماماً ، وكأنه لم يسمعه ، وهو يقول :

- اذهبنى بنا مباشرة إلى المنزل الآمن ، فأنا فى حاجة إلى تبديل ثيابى ، واتخاذ هيئة أكثر بساطة ، تساعدنى على الحركة .

أذنت التحية العسكرية فى شىء من المرح ، وهى تقول :

- تحت أمرك يا سيادة العميد .

التقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- لا داعى لهذا العبث الطفولى ، ستلفتين الأنظار إلينا بأسلوبك هذا .

ضحكت قائلة :

- لست أعتقد هذا ، فهنا لا أحد ينتبه إلى أحد ، أو يلتفت إليه .. كل شخص حر فيما يقول أو يفعل ، ما دام لا يسبب ضرراً لغيره .

أشار بيده ، قائلاً :

- عظيم .. دعينا نذهب إلى المنزل الآمن أولاً ، ثم نناقش قضية التغريب هذه فيما بعد .

تطلعت إليه لحظة فى تساؤل ، وانفجرت شفتاها لحظة ، وكأنها تهتم بقول شىء ما ، ثم لم تلبث أن لالت بالصمت ، وواصلت انطلاقها بالسيارة ، حتى بلغت ذلك المنزل الآمن ، وهناك تخلّص (أدهم) من تنكره فى هيئة الشيخ ، واكتفى بتلكر بسيط ، فقط شعر أشقر وزوج من العنسات الزرقاء ، وشارب كث ، ومنظار طبى عادى ، ولم يكذب غادر

حجرته ، حتى قالت (جيهان) ، مشيرة إلى الهاتف :

- رجُلنا اتصل ، وأبلغنا أن (جبر) داخل السفارة الأمريكية ، التى ذهب إليها فور وصوله ، وربما سيتم عقد الصفقة هناك .

هز (أدهم) رأسه تقيًا ، وهو يقول :

- لست أعتمد هذا ، فمندوب المنظمة الخاصة لن يجازف بالذهاب إلى السفارة الأمريكية ، ويوضع نفسه بين فكي الأسد ، ليعقد صفقة ، المفروض أن يفرض خلالها شروطه .

قالت في اهتمام :

- آه .. إذن فسيخرج (جير) حتمًا ، لمقابلة مندوب المنظمة .

صمت (أدهم) لحظات مفكرًا ، ثم قال :

- ليس بالضرورة .

تطأعت إليه في حيرة وتساؤل ، قبل أن تقول :

- هل لك أن تفسّر لي هذا اللغز ؟! .. كيف يمكن أن يلتقى

(جير) بمندوب المنظمة السرية ، دون أن يغادر

السفارة ، ودون أن يأتي إليه المندوب ؟

ارتسعت على شفتي (أدهم) ابتسامة ، وهو يجيب :

- هنا تكمن براعة المخابرات الأمريكية .

قالها ، وابتسامته لا تمنحها سوى الغموض ..

كل الغموض ..

توقفت سيارة صغيرة أمام السفارة الأمريكية في

(برن) ، وقدم قائدها أوراق هويته لضابط الأمن ، الذي

راجعها في دقة واهتمام ، ثم أجرى اتصالًا هاتفيًا قصيرًا ،

سمح بعده للرجل بالدخول إلى حديقة السفارة ، بصحبة أحد

رجال الأمن ، وهناك انتظر الرجل داخل سيارته لبضع

دقائق ، قبل أن يظهر (جير) ، الذي عبر الحديقة في

خطوات واسعة سريعة ، وأشار لرجل الأمن بالتصريف ،

ثم لدف إلى السيارة ، وصافح قائدها ، قائلاً :

- مستر (ويلسون) حسبما أعتقد .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل في هدوء :

- ومن سواي يا مستر (جير) .

ثم اعتدل يسأله في اهتمام :

- أنت تعرف الغرض من حضوري بالطبع .

أوما (جير) برأسه إيجابًا ، وأشعل سيجارته ، وهو

يسأله :

- كم تريدون ثمنًا لها يا مستر (ويلسون) ؟

أجابه (ويلسون) في هدوء :

- هذا يتوقف على ما تعرضونه يا مستر (جير) .

تواصلت المساومة بينهما ، في سبيل عقد الصفقة ،

وانتقلت كل كلمة ينطقان بها إلى سيارة صغيرة ، تقف في

نهاية الشارع ، ويجنس داخلها (كوربوف)

و (إيفان) ، والأول يراقب ما يحدث ، عبر منظار خاص

بالرؤية الليلية ، في حين يستخدم الثاني جهاز التنصت ،

وهو يقول مبتسمًا :

- عظيمة هي التكنولوجيا في الواقع .. في الماضي كنا

نضطر للمخاطرة ، من أجل زرع أجهزة التنصت ، أما الآن

فشعاع واحد من الليزر ، يمكنه أداء المهمة من بعيد ، وأنت جالس في أمان (*) .

قال (كوربوف) في صرامة :

- اصمت يا (إيفان) ، ودعني أنصت جيدًا .

كان هناك شيء ما يقلقه ، في تلك المساومات .. شيء لم يمكنه تحديده بالضبط ، على الرغم مما يشعر به .. ولكن غريزته ، أو خبرته أنبأته بأنه يواجه شيئاً غير منطقي ..

ولثوان ، ظل يتابع المشهد في صمت ، عبر منظاره الخاص ، ثم لم يلبث أن قال في حزم :

- أعطني منظور الكمبيوتر .

ضغط (إيفان) زرًا في السيارة ، فأنكشفت شاشة كمبيوتر صغيرة ، التقطت من جوارها منظورًا مكعبًا ، يتصل بالكمبيوتر عبر أسلاك سمكية ، ولأوله لـ (سيرجي كوربوف) ، الذي صوّبه إلى مستر (ويلسون) ، و (إيفان) يسأله :

- هل يرادك الشك في أمر ما ؟

(*) تعتمد أجهزة الفصص الحديثة على إطلاق شعاع غير مرئي من الليزر ، يسقط على المكان المراد التفتت عليه ، ثم يرتد إلى مصدره ، حاملاً كل التفتتات التي للتفتتات من المكان ، وبواسطة جهاز خاص ، يتم تحويل هذه التفتتات إلى أصوات مسموعة يمكن تسجيلها في وضوح .

أجابه (كوربوف) في صرامة :

- الشك لا يفارقني قط .

التقط المنظار صورة إلكترونية لمستر (ويلسون) ، ونقلها إلى شاشة الكمبيوتر ، فضغط (كوربوف) أزراره في سرعة ، وتطلع إلى الشاشة في اهتمام ، وهي تستعرض المخزون لديها من عشرات الصور ، قبل أن تتوقف عند صورة قريبة الشبه من مستر (ويلسون) ، وتحمل بيانات تقول :

- (روبرت كالتوشى) .. موظف إداري بالمبنى الرئيسى للمخابرات المركزية الأمريكية في (فرجينيا) .. العمر خمس وأربعون سنة .. يتعاون أحيانًا مع الجهاز التنفيذي ، وجهاز العمليات الخارجية .. متزوج وله طفلان ، و ..

ثم يهتم (كوربوف) بباقي المعلومات والتفاصيل ، وهو يقول في حدة :

- اللعنة !.. كنت أشعر بهذا .

أما (إيفان) ، فسأله في توتر :

- ما الذى تعنيه هذه المعلومات ؟!

أجابه في غضب :

- لقد خدعونا .. الأمريكيون خدعونا .. (رونالد جير)

يعتبرون هذه الصفقة بالغة الخطورة ، إلى الحد الذي يرسلون معه أشرس رجالهم لعقدها ..

ثم مال نحو الكمبيوتر ، مستطردًا في اهتمام :

- ولكن هل وصل مستخدمًا اسمه الحقيقي ؟

هزّت رأسها نفياً ، وهي تجيب :

- كلاً .. لقد استخدم اسمًا مستعارًا ، وغير ملامحه

بعض الشيء ، ولكنني استخدمت برنامجًا خاصًا ، يراجع

كل الوجوه ، ويطابقها على أرشيفنا الخاص ، وهذا ما كشف أمره ..

كانت براءة واضحة منها ، ولكن (أدهم) لم يعلق على الموقف ، وهو يسألها :

- هل علمت أين يقيم (كيلرمان) ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهي تقول :

- في فندق (البحيرة) في (جنيف) ، تحت اسم (برت كنوبى)

ألقي نظرة على ساعته ، وهو يقول :

- عظيم .. أتعثم أن نصل إلى هناك في الوقت المناسب ..

سألته ، وهي تنهض في حماس :

- هل نبدأ تحركنا الآن ؟

كان مجرد فخ لاستدراجنا فحسب ، وهذا الممثل السخيف يتظاهر بأنه عميل المنظمة الخاصة ، في حين أنه مجرد موظف في المخابرات الأمريكية .. لقد وضعوا بعض العسل لجذب الذباب ، في حين يتم عقد الصفقة في مكان آخر .

سأله (إيمان) في توتر :

- أين يا (كوربوف) ؟ .. أين ؟

صاح (كوربوف) :

- اللعنة ! .. ومن يدري !؟ .. لقد خدعونا يا رجل ..

خدعونا ..

قالها ، وكل خلية من خلاياه تصرخ في ثورة غضب ..

كل خلية ..

★ ★ ★

كنت على حق يا سيادة العميد ..

تطلعت (جيهان) العبارة في اهتمام بالغ ، وهي تجلس

أمام جهاز الكمبيوتر ، قبل أن تستطرد في حماس :

- لقد وصل اليوم سرًا إلى (برن) ، رجل آخر من

رجال المخابرات الأمريكية ، يعد أكثر أهمية وخطورة من

(جير) ، اسمه (ريتشارد كيلرمان) .

رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة ، قائلاً :

- (كيلرمان) بنفسه !؟ .. من الواضح أن الأمريكيين

أجاب في حزم :

- المفروض ألا نضيع لحظة واحدة .

لم تمض دقائق خمس على هذا الحوار ، حتى كانت سيارتها تتطرق بهما إلى (جنيف) ، وهي تسأل (أدوم) في اهتمام :

- هل نعتقد أننا نستطيع اللحاق بالصفقة ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- أعتقد هذا / فمثل هذه الصفقات لا تتم بنفس السرعة ، التي يمكن أن تتم بها الصفقات التجارية التقليدية ، ثم إن شريعة المنظمات التخصصية الخاصة هي البحث عن يدفع أكبر ثمن ممكن ، وإن تتم الصفقة مع الأمريكيين ، دون الرجوع إلى المشتريين المحتملين الآخرين .. إنهم يسعون لمعرفة ما يعرضه الأمريكيون فحسب .

ضمت :

- أرجو هذا .

ثم أضافت في حماس :

- المهم أن نتحرك في سرعة ، وما أن نخرج مندوب المنظمة تلك الأسطوانة المدمجة ، حتى تلقض عليه ، وننتزعها منه ، و ...

قاطعها (أدوم) ساخراً :

- أين تلقيت تدريبك أنتها النقيب ؟.. في دار

حضارة ؟

انعقد حاجبها في غضب ، وهي تقول :

- لمست أعتقد أن ما قلته سفيراً أو ساذجاً ، إلى هذا

الحد !

أجاب متهمكاً :

- حلاً ؟.. كيف تصوّرت إذن أن مندوب المنظمة

يذهب لعقد الصفقة ، وهو يحمل الأسطوانة المدمجة ،

وكأنه مندوب مبيعات متجول ، يتقاضى ثمن السلعة ، ثم

يخرجها من حقيبته ، ليسلمها للمشتريين على الفور ؟

قالت في حدة :

- حسن .. لن أبلى برأى فيما بعد قط .

أشار بسبابته ، قائلاً :

- هذا أفضل .

لم يكذب نطقها ، حتى شعر بمظاظته في التعامل معها ،

ولم يدر لماذا فعل هذا !

الآن وجودها إلى جواره يذكره بـ (ملى) ،

ومغامراتهما المشتركة ؟

أم لأنها تختلف عنها تماماً بالفعل كما قالت ؟..

أم

لم يواصل حديثه الصامت مع نفسه ، وهو يسألها في هدوء :

- هل تلقيت دورات تدريبية ؟

أجابته في تهكم عصبي :

- بالطبع .. تلقيت دورة مكثفة في معاملة الأطفال ، وأخرى موجزة حول أفلام الرسوم المتحركة ، و ... قاطعها مبتسماً :

- عظيم .. من الواضح أنك تتمتعين بروح مرحة .

نطقها في رقة أدهشتها ، فالتفتت تحدق في وجهه ،
إلا أنه ضحك ، قائلاً :

- ولكن هل تلقيت دورة عادية في القيادة ، تؤكد ضرورة النظر إلى الأمام ، عندما يقود المرء سيارة رياضية ، بسرعة تتجاوز المائة كيلو متر ؟

خفق قلبها مع عبارته المرحية ، وقالت مبتسمة :

- أعتقد أنني أذكر شيئاً كهذا .

كانت هذه المبادرة منه تذيب ذلك الحاجز الجليدي بينهما ، وكأنه يعتذر عن فظاظته السابقة ، مما أشعرها بارتياح غامر ، وهي تسأله :

ماذا ينبغي أن نفعل في رأيك ؟

استرخى في مقعده ، وهو يجيب :

- نحدد هوية مندوب المنظمة التجمعية الخاصة .

سألته في اهتمام :

- ثم ماذا ؟

أسبل جفنيه ، وابتمس متمتعاً :

- ثم يبدأ السباق الحقيقي .

قالها دون أن يضيف حرفاً ..

ودون أن تلقى هي سؤالاً إضافياً ..

لقد أدركت أن القتال قد بدأ ..

القتال الحقيقي .

★ ★ ★



٤ - المندوب ..

لم يكد رنين الهاتف ينطلق ، فى حجرة (ريتشارد كيلرمان) ، حتى التقط سماعته ، ووضعها على أذنه ، قائلاً فى برود :

- (كنوبى) ... من المتحدث ؟

أنا صوت أكثر برودة ، يقول :

- أعتقد أن لدى شيئاً تريدونه .

استرخى (كيلرمان) فى مقعده ، وهو يقول :

- أنا أيضاً أعتقد هذا .. متى نلتقى للتباحث فى هذا الأمر ؟

أجاب صاحب الصوت الثلجى :

- الآن يبدو وقتاً مناسباً .

التقى حاجباً (كيلرمان) ، وهو يقول :

- من أين تتحدث بالضبط ؟

أجابه الرجل :

- ليس هذا من شأنك .. كل ما عليك هو أن تهبط إلى بهو الاستقبال ، وهناك ستجد شخصاً ضخماً الجثة ، على

نحو يجعله أشبه بالفوريلا ، تقدم نحوه ، وقل له : (أنك مستعد لمقابلة مستر (ستيفان) ، وهو سيقوم بالباقي - سألته (كيلرمان) فى اهتمام :

- والمفروض أنك مستر (ستيفان) هذا .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل فى برود :

- أسرع يا مستر (كنوبى) .. لو انتظر الرجل لعشر دقائق أخرى ، سينصرف فوراً ، وستفشل الصفقة تماماً .

قالها ، وأنهى المحادثة فى حركة مباغتة ، جعلت (كيلرمان) يعقد حاجبيه فى حدة ، ويقول :

- يا للوعد !

ثم نهض يلتقط معطفه ، ولس مسدسه فى حزامه ، ثم التفت مسدساً آخر صغير الحجم ، مصنوعاً من الألياف الزجاجية ، ووضع فى حزامه من الخلف ، وهو يبتسم فى سخرية ، متمتماً :

- أعتقد أن هذه الصفقة ستحمل إليهم الكثير من المفاجآت حقاً .

وتحرك بسرعة ، ليؤدى بعض الأعمال الهامة لتأمين المكان ، ثم هبط إلى بهو الاستقبال ، ودارت عيناه فى المكان ، قبل أن يتوقف بصره . عند الرجل المنشود ..

كان من المستحيل أن تخطئه العين ، حتى ولو وقف وسط شارع شديد الازدحام ، فقد كان هائل الحجم بالفعل ، أشبه بغوريلا عملاقة ، يتجاوز طوله المترين ، ويبلغ محيط صدره ما يقل عن هذا بثلاثين أو أربعين سنتيمترا .. أما معطف القراء الذى يرتديه ، فقد جعله أقرب إلى اللب منه إلى الغوريلا ، لولا رأسه الأضلع المكشوف ، وشاربه الضخم ، الذى يملأ معظم وجهه .. وفى خطوات حاسمة ، اتجه (كيلرمان) نحو العملاق ، وقال :

- أنا مستعد لمقابلة مستر (ستيفان) .
مال العملاق ببعينه ، ثيلقى عليه نظرة متفحصة ، ثم استدار قائلاً فى غلظة :
- اتبعنى .

تبعه (كيلرمان) فى صمت عبر ممرات الفندق ، والعملاق يقوده إلى المطابخ ، ويتجاوز به حجرات التنظيف والبخار ، ثم يعبر معه الباب الخلفى للفندق ، إلى شارع ضيق ، احتلته بالكامل سيارة ضخمة ، فتح العملاق يابها الخلفى ، وأشار إلى (كيلرمان) فى صمت ، فدخل إليها ، ولم يكذب ، حتى أغلق العملاق بابها ، ثم قفز فى خفة لا تتناسب مع ضخامته ، واحتل مقعد القيادة كله ، وانطلق بالسيارة ..

ولم تكد السيارة تتجاوز الشارع الضيق ، إلى الشارع الرئيسى ، حتى غمغت (جيهان) داخل سيارتها الرياضية ، التى تقف على مقربة :

- أنت مدهش يا سيادة العميد .. كيف توقعات أن اللقاء لن يتم فى الفندق ، وأنهم سيخرجون (كيلرمان) من الباب الخلفى !!

أجابها (أدهم) فى هدوء :

- مزيج من الحدس والاستنتاج ، واجترار الخبرات السابقة .

سألته فى اهتمام :

- هل تتبعهما إلى حيث تتم الصفقة ؟

فتح باب السيارة ، وهو يقول :

- بل سنتبعينهما وحدك ، فالصفقة لن تتم الآن .

وغادر السيارة ، مستطرداً بلهجة أمرة :

- أحرصى على ألا يفلتا منك أبداً ، وآلا يشعرأ بأنك تراقبينهما ، وأخبرينى أين استقر بهما المقام بالضبط .

سألته فى قلق :

- وماذا عنك ؟

ابتسم ساخراً ، وهو يقول :

- فليهتم كل منا بدوره فحسب يا زميلتى العزيزة .

لم تدر لماذا خفق قلبها في قوة ، عندما خاطبها بهذا اللقب ، ولكنها وجدت نفسها تقول في حماس :
- أوامرك يا سيادة العميد .. أنت قائدى .
ومنحته ابتسامة ساحرة ، ثم انطلقت خلف السيارة الضخمة ، فتبعها ببصره لحظات في صمت ، قبل أن يغمغم :

- أمل أن تؤدي دورها جيدًا .

قالها ، واتجه في هدوء إلى الفندق ، واستقل مصعده في بساطة ، ليصعد إلى نفس الطابق ، الذى يضم جناح (كيلرمان) .

كانت هناك آلة تصوير للمراقبة في ركن العمر ، ولكنه تحرك في ثقة وهدوء ، وعلى نحو لا يمكن أن يثير أدنى شك ، وأولى ظهره للآلة ، وهو يتظاهر باستخدام مفتاح الجناح لفتحه ..

وفي سرعة ، جابت عيناه الباب ، بحثًا عن أية علامات تأمينية ، تركها (كيلرمان) خلفه ، و ...
وفجأة ، توقفت عيناه عند خيط دقيق للغاية ، ثبته (كيلرمان) بين ضلعتي الباب ، بحيث يتمزق تلقائيًا ، لو فتح أحدهم الباب عنوة ..
وفي هدوء ، عالج (أدهم) رتاج الباب ، ثم ضغط أحد

طرفي الخيط ، ودفع الباب في هدوء ، ودفن إلى الحجرة ، ثم رفع إبهامه عن الخيط ، الذى تعلّق من هذا الطرف ، وظلّ في موضعه ، فى حين أغلق (أدهم) الباب خلفه فى حرص ، ودارت عيناه فى المكان ، تفحصانه بنظرة خبيرة مدرية ..

وفى المعتاد ، يحتاج هذا الأمر إلى إخصائيين ، يطلق عليهم اسم (فرقة التنظيف) ، لفحص الإجراءات التأمينية فى المكان قبيل تفتيشه ، وإعادتها إلى موضعها ، فور الانتهاء مما ينبغى عمله (*) ..
ولكن (أدهم) استثناء من كل قاعدة ..

لقد تلقى تدريبًا خاصًا على عملية التنظيف هذه ، قيل أن يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر ، ومن سمات (أدهم) أنه يصقل دائمًا مواهبه ، ويواظب على التدريب على كل ما يتعلمه ، وما يكتسبه من خبرات ..
وهذا ما جعله خبيرًا فى هذا المضمار ..

لقد التقطت عيناه انبعاثًا خفيفًا فى طرف البساط الأثيق ، الذى يحتل المدخل ، فاتحنى يرفع طرف البساط ، قبل أن يبتسم فى سخرية ، مغمغمًا :
- كنت أتوقع هذه البراعة يا (كيلرمان) .

(*) حقيقة .



كانت هناك قطعة صغيرة من البسكويت ، تستقر تحت البساط ..

كانت هناك قطعة صغيرة من البسكويت ، تستقر تحت البساط ..

قطعة تكفي لضغط قدم بسيطة لسحقها ، والتكليل على اقتحام متسلل إلى المكان ..

وفي بساطة ، تجاوز (أدهم) البساط كله ، وراح يخلص المكان في مرعة ومهارة ، وعندما انتهى من عمله ، تراجع في هدوء ، وغادر المكان ، ثم أغلق الباب خلفه في إحكام ، وأعاد الخيط إلى موضعه .. و
« حذار أن تبدر منك أية حركة مريبة .. »

صكت العبارة مسامعه بفتة ، مع فوهة المسدس ، التي انفرست في معطفه من الخلف ، على نحو أدهشه وأحلقه ، وجعله يتساءل : كيف لم ينتبه إلى ذلك الشخص ، الذي تسلل من خلفه هكذا ، ولكنه كنم كل هذا في أعماقه ، وهو يقول :

- هل يمكنني أن أستشير ، أم أنك ستعتبر استدارتي حركة مريبة ؟

أجاب الرجل في صرامة :

- استكر في بطن ، ويداك فوق رأسك .

استدار (أدهم) في بطن ، وتطلع إلى وجه محدثه في اهتمام ..

كان شاباً مقتول العضلات ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، توحى ملامحه بأنه ينتمى إلى الجنس القوقازى ، الذى ينتشر فى شمال وشرق (آسيا) ..

وقدر (أدهم) أنه روسى الجنسية ، قبل حتى أن يقول الشاب فى صرامة ، بلغته الفرنسية ، ذات اللفظة الشرقية : - أنت تعمل لحساب (كيلرمان) .. أليس كذلك ؟

أدار (أدهم) عينيه إلى نقطة ما خلف الشاب ، وكأنه يتطلع إلى شيء ما ، قبل أن يقول متظاهراً بالارتياح : - بالطبع .. أنا أعمل لحساب مستر (كيلرمان) .

انعقد حاجبا الشاب ، وهو يتابع نظرة (أدهم) ، ثم وقع فى الفخ بسرعة ، فاستدار إلى الخلف متوتراً ، و ...

وكان هذا كل ما يحتاج إليه (أدهم) .. لقد تحرك بسرعة البرق ، فأمسك معصم الروسى ، وأمال فوهة المسدس بعيداً ، ثم هوى على فك الشاب بلكمة كالقنبلة ، ارتد لها إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بالجدار فى قوة ..

ولكن العجيب أنه لم يسقط .. لقد احتقن وجهه بشدة ، واشتعلت شياطين الغضب كلها فى ملامحه ، وهو ينقض على (أدهم) ، ويكيل له لكمة قوية مباغتة ، أصابت فكه فى عنف ، ودفعته إلى الخلف ،

فالتحلى بتفادى الثانية فى سرعة ، وانقض بقبضته على معدة الروسى ، الذى أطلق شهقة غاضبة ، وانثنى إلى الأمام ، فعاجله (أدهم) بلكمة أخرى ، أعادته إلى وضعه الأول ، وهو يطلق سباً غاضباً ، أخرسه (أدهم) بقفزة رشيقة ، وركلة بالغة القوة ، فى أنف الروسى مباشرة .. كانت ضرباته أشبه بقنابل عنيفة ، تلقاها الشاب فى صلابة مذهشة ، وهو يهتف بالروسية :

- اللعنة !! اللعنة عليك !

ثم ألغى نفسه على (أدهم) ، وأحاط وسطه بذراعيه فى قوة ، وهو يندفع نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، فى نهاية الممر ..

وبكل قوته ، ركل (أدهم) الشاب فى ساقيه وفخذه ، وهو يقاتل للتخلص من ذراعيه القويتين .. ولكن الشاب انقض على النافذة بكل قوته ..

وفى نفس اللحظة التى تحطم فيها زجاج النافذة بدوى عنيف ، أفلت الشاب (أدهم) ، الذى وجد نفسه يندفع خارج الفندق ، ثم يهوى ..

ومن ارتفاع ستة طوابق ..

★ ★ ★

على الرغم من المناورات المعقدة ، التي قام بها
العلاق ، واصلت (جيهان) تتبعه في مهارة ، حتى
وصلت به السيارة الكبيرة إلى فيلا أنيقة ، عند أطراف
المدينة ، استوقفه حراسها الثلاثة لحظات ، قبل أن
يسمحوا له بالدخول ..

ووقفت (جيهان) بسيارتها ، على مسافة عشرة أمتار
من الفيلا ، وغمغت :

- أهى نهاية الرحلة ، أم أنكم تقومون بمناورة جديدة ؟
أطلقت أنوار السيارة كلها ، وجلست تراقب الفيلا لعشر
دقائق كاملة ، دون أن يستجد جديد ، فسألت نفسها :
- ثرى هل اقتصررت أوامر (أدهم) على تتبعي
للسيارة ، أم أنه يجب أن أبدأ مزيداً من الجهد ؛ للتأكد من
أن هذا هو المكان الصحيح ؟

كانت تشعر بالملل ، لجلوسها صامتة على هذا النحو ،
لذا فقد هزت كتفها ، وابتسمت لنفسها في سخرية ،
مستطردة :

- المفروض أن عملنا لا يقتصر على طاعة الأوامر
حرفياً .. لا بأس من جهد إضافي بلا أجر .

واستلّت مسدسها الصغير ، ثم غادرت السيارة في
حذر ، واتجهت في خفة نحو الجدار الخلفى للفيلا ، وما إن

بلغته ، حتى التصقت به لحظة ، وهي تتنفس في سرعة
وتوتر ، ثم تحرّكت بمحاذاته في خطوات سريعة ،
وانحرفت معه إلى اليسار ، و ...

يا للشيطان ! ... من أنت ؟!

فوجئت بنفسها وجهاً لوجه ، أمام حارس ضخم قوى ،
حذق في وجهها لحظة بدهشة ، وهو يهتف بعبارته ، ثم
رفع فوهة مدفعه الآلى في وجهها ، و ...
وأطلقت النار ..

نعم .. هي التي أطلقت النار في سرعة ، ودون تردد ،
قبل أن يضغط هو زناد مدفعه بجزء من الثانية ..
ووسط الليل الساكن الهادئ ، في تلك البقعة ، بدأ دوى
الرصاص أشبه بانفجار قنبلة ، رذنته المنطقة كلها ، مع
صرخة الألم ، التي أطلقها الحارس ، قبل أن يسقط جثة
هامة ..

وفي ثالية واحدة ..
بل في أقل من الثانية الواحدة ، انقلب كل شيء رأساً
على عقب ..

لقد أضيت أنوار الفيلا كلها ، وارتفع نباح كلاب
متوحشة ، ووقع أقدام تعدو في كل مكان ، وصوت يهتف
بالفرنسية :

- محاولة اقتحام .. إجراءات الأمن القصوى .

ومع كل هذا ، لم يكن بإمكان (جيهان) أن تبقى ..
لقد انطلقت تجرى بكل سرعتها ، عائدة إلى سيارتها ،
وهي تهتف :

- أنت تستحقين هذا .. كان ينبغي أن تطيعي الأوامر
فحسب .

سمعت من خلفها أصواتا تهتف بالفرنسية :

- ها هي ذى .. إنها امرأة .. الحقوا بها .

وارتفع نباح الكلاب أكثر وضوحاً ووحشية ، مما جعلها
تضاعف من سرعتها على نحو غريزي ، في نفس الوقت
الذي انطلقت فيه رصاصات صامتة ، من مسدسات مزودة
بكواتم للصوت ، شعرت بها ترتطم بالأرض خلف قدميها ،
فوثبت نحو السيارة ، هاتفة :

- آه .. هذا ما كان ينقصني .

ألقت نفسها داخل السيارة ، وأدارت محركها في
سرعة ، في نفس اللحظة التي بلغت فيها الكلاب
الشرسة ، ورأت أحدهما يثب على زجاجها الأمامي ،
وأنيابه تكاد تخترقه ، من شدة قوتها وحنيتها ، فهتفت
وهي تتطلق بالسيارة :

- ابتعد أيها الوغد .

تشبث الكلب بالسيارة بضلع لحظات ، في نفس الوقت

الذي اخترقت فيه عدة رصاصات زجاجها الخلفي ، ومزقت
إحداها على قيد سنتيمترات من رأس (جيهان) ، التي
مالت ، بالسيارة في عنف ، فألقت الكلب عن مقدمتها ،
وانطلقت محاولة الفرار ..

ومن خلفها ، انطلقت ثلاث سيارات قوية ..

وضغطت (جيهان) ذؤاسة الوقود بكل قوتها ،
مستعملة خفة وسرعة سيارتها الرياضية ، للفرار من
السيارات الثلاث ، وهتفت بتوتر شديد :

- ماذا فعلت بنفسك يا (جيهان) ؟ .. كان المفروض أن
تطيعي أوامر رئيسك ، بدلاً من أن تتورطى على هذا
النحو .. أخشى ما أخشاه أن تكوني قد أفسدت الخطة كلها
بتسرعك وفضولك .

كانت تتطلق بسرعة مخيفة ، والسيارات الثلاث
تطاردها في استماتة ، ثم انحرفت مع مسار الطريق ،
و ...

وفجأة ، وجدت أمامها تلك الحافلة الضخمة ، التي
توقفت على جانب الطريق ، لتصلح إطاراً تالفاً ..

وصرخت (جيهان) ، وهي تضغط الفرامل في قوة ،
محاولة تفادي الاصطدام :

- رباه ! .. ألم يجدوا مكاناً أفضل للتوقف ؟

كانت انحرافاتها مباغطة ، وضغطتها للقرامل قوية ، لذا فقد فقدت السيارة طريقها ، واختل توازنها في عنف ، فوثبت على نحو مخيف ، ثم انقلبت ، وتدرجت في قوة ، وانزلقت بسرعة مخيفة إلى الطريق العكسي ..
وفي اللحظة نفسها ، كانت هناك سيارة كبيرة تنطلق في الطريق المضاد ..

وفجأة ، وجدت سيارة (جيهان) تنزلق أمامها .. ولم يكن هناك مفر من الارتطام ..
أهذا ..

★ ★ ★

هوى (أدهم) من ارتفاع ستة طوابق ، وحاول التشبث بحاجز النافذة المغطى بالجلود ، إلا أن يده انزلقت ، وتابع جسده السقوط ، حتى ارتطم بمظلة واقية ، تمتد من شرفة الطابق الثالث ، فتمزقت تحت ثقله ، وألقته خارجها ..
وفي هذه المرة ، قبضت أصابعه في استماتة على القماش الممزق ، إلا أنه انفصل عن إطاره ، فهو (أدهم) مرة ثانية ، ليصطدم بسقف المطعم المعلق ، في الطابق الثاني ..

وكان الارتطام عنيفاً بالسقف الخشبي ، إلا أن تشبث (أدهم) لجزء من الثانية ، بالقماش الممزق في الطابق

الثالث ، كان قد خفف من سرعته كثيراً ، فأصابه الارتطام بالآلام شديدة ، في كل عظمة من عظام جسده ، إلا أنه لم يحطمها ، أو يقتله ..

وعلى الرغم من آلامه ، هب (أدهم) واقفاً على قدميه ، ولم يكد يرفع عينيه إلى أعلى ، حتى شاهد الروسي ينحني خارج النافذة ، ويصوب إليه مسدسه المزود بكاتم للصوت ، و ...
ويضبط الزناد ..

كان صوت الرصاصات أشبه بفحيح ثعبان عجوز ، (لا أن (أدهم) لم ينتظر ليسمعه ، فلم يكد يلوح المسدس المصوب إليه ، حتى وثب من السقف الخشبي إلى الإطار الذي يحمل اسم الفندق ..

وفي نفس اللحظة ، التي أصابت فيها الرصاصات السقف ، كان (أدهم) يتلقى بالحروف الكبيرة ، أمام أعين كل رواد المطعم ..
ثم اكتفى بيد واحدة ، بتشبث بالحروف الضخمة ، وهو يستل مسدسه ، ويصوبه إلى الجدار الزجاجي للمطعم ، المطل على البحيرة ..

وانطلقت صرخات رواد المطعم ، وانطلقوا يعدون مبتعدين ، و (أدهم) يهتف :

.. هيا .. ابتعدوا بأقصى سرعة ، فجسدى وحده لن
يكتفى لاختراق هذا الجدار السميك .

كان الروسي يصوب إليه مسدسه ثانية ، وهو يقسم
ألا يخطئ إصابة هدفه هذه المرة ، عندما أطلق (أدوم)
رصاصة مسدسه على الجدار الزجاجى السميك ، قيل أن
يثب نحوه بكل قوته ..

وانطلقت رصاصات الروسي ، لتخطئ كلها هدفها ،
الذى اخترق الجدار الزجاجى فى علف ، وسط داخل
المطعم ..
وقيل أن ينهض من مكانه ، كان رجال أمن الفندق
يندفعون نحوه ، ويصوبون إليه مسدساتهم ، وأحدهم
يصرخ متوتراً :

.. توقف يا هذا ، وإلا أطلقنا النار .

دار (أدوم) حول نفسه بسرعة مذهشة ، وهو يهتف :
.. أتفصد هكذا ..

قائلاً ، وهو يطلق الرصاصات المثبيلة فى مسدسه ،
على مسدسات رجال الأمن الأربعة ..

وكانت مفاجأة مذهشة للجميع ..

لقد أطاحت رصاصاته بمسدسات الرجال الأربعة ، فى
آن واحد تقريباً ، دون أن تصيب أحدهم بخدش واحد ..

والعجيب أن هذا ألقى الرعب فى نفوس الجميع ، بأكثر
مما لو نسب (أدوم) رعوس الرجال الأربعة بالفعل ..
ولمى صرامة ، أشار (أدوم) بمسدسه الفارغ إلى رجال
الأمن ، قائلاً :

.. ابتعدوا ..

كانت تلك النبذة الأمرة فى صوته ، تكفى لتجميد الدماء
فى عروق أشجع الرجال ، فتراجع رجال الأمن الأربعة
بحركة سريعة ، وأفسحوا له الطريق ، وكأنهم لا يعرفون
على خصيان أسره ، فى حين أعاد هو مسدسه إلى جيبه ،
وتنكلم نحو باب المطعم فى خطوات ثابتة ..
وفجأة ، ظهر الروسي الشاب ..

لم يظهر بهدوء ، وإنما اقتحم المكان فى علف كثور
هائج ، وانقض على (أدوم) مباشرة ، وأحاط وسطه
بذراعيه ، واندفع به نحو الجدار المحطم ، وهو يطلق
صيحة مخيفة ..

ولكن (أدوم) لم يكن مستعداً لتكرار الموقف ..
لذا فقد انثنى بحركة مباغتة ، وأجبر الروسي على
السقوط معه أرضاً ، ثم دفع ركبته فى معدته ، واستفرك كل
قوته ليلقى الروسي خلفه ، ثم قفز واقفاً على قدميه ،
واستدار يواجهه ..

٥ - الفشل ..

لم يكد سائق سيارة النقل الكبيرة يلمح تلك السيارة الرياضية الصغيرة ، التي انزلت بغتة ، متجاوزة الحد الفاصل بين الطريقين ، حتى انحرف بسيارته في عنف ، محاولاً تفادي الارتطام ، وكاد ينجح في هذا بالفعل .. ولكن السيارة الرياضية توقفت بغتة ، في عرض الطريق ..

وبسرعة مدهشة ، انحرف السائق ثانية إلى اليسار ، فارتطم بطرف السيارة ، التي قفزت مرة ثانية إلى الأمام ، ودارت حول نفسها في عنف ، قبل أن تسقط خارج الطريق ، وتتدحرج وسط الأشجار الطويلة ، ثم ترتطم بإحداها ، وتتوقف تماماً ..

ومن بعيد ، لمحت السيارات الثلاث القوية ما حدث ، فانحرفت إلى الطريق العكسي ، وعبرته خلف سيارة النقل ، وما إن توقفت عند حافة الطريق ، حتى هتف أحد ركبائها :

- خزان الوقود مشتعل .. ستفجر السيارة !

ومع استدارته ، استرد رجال الأمن الأربعة بعض شجاعتهم ، وانقضوا عليه من الخلف .. وبغتة ، وجد (أدهم) من يمسه ذراعيه ويحيط وسطه وعنقه من الخلف ، في نفس اللحظة التي ينقض فيها الروسي عليه ، وهو يستل مسدسه ، ويطلق صرخة وحشية مخيفة ..

ومع هذا الهجوم المزدوج العنيف ، تضاعلت فرصة نجاة (أدهم) إلى الصفر .. أو ما تحت الصفر .

★ ★ ★



لم يكذب قط ، حتى دوى الانفجار ..
 انفجرت السيارة الرياضية الصغيرة ، واشتعلت فيها
 النيران ، وسائق النقل يهتف مذعورا :
 - لم أفعل شيئا .. لم يكن بيدي أن أفعل شيئا .. تلك
 السيارة قفزت إلى الطريق بغتة ، و ...
 قاطعه أحد ركاب السيارات الثلاث في صرامة :
 - انصرف يا رجل .. لا شأن لك بهذا .
 قال سائق النقل في توتر :
 - ولكن الشرطة ، والتحقيقات ، و ...
 قاطعه في صرامة ، وهو يبرز مسدسه :
 - قلت : انصرف .
 شحب وجه السائق ، وتراجع مغمما :
 - لا بأس يا سيدي .. لا بأس .. سألتصرف .
 وقفز إلى سيارته مذعورا ، وانطلق بها مبتعدا ، وكأنما
 تطارده شياطين الأرض كلها ..
 أما هؤلاء الرجال ، فقد وقفوا يراقبون السيارة
 المشتعلة لحظات ، ثم قال أحدهم في تردد :
 - أتعتقد أنها احترقت مع السيارة ؟
 هز زميله كتفيه ، وغمغم :
 - لا يمكن أن تكون قد لجت .. لقد رأيت بنفسك
 ما حدث ..

أوما برأسه متفهما ، وهو يغمغم :
 - نعم .. لقد رأيت ما حدث .
 وقفوا بضع لحظات أخرى في صمت ، ثم عادوا إلى
 سياراتهم ، وانطلقوا عاندين إلى القبلا ، تاركين السيارة
 الرياضية الصغيرة خلفهم تحترق ..
 وتحترق ..
 وتحترق ..

★ ★ ★

أكثر ما ييقضه (أدهم) ، هو القدر والخداع ..
 أكثر ما يكرهه هو أن يهاجمه خصمه من الخلف ..
 إنه لا يهاجم خصمه هكذا قط ..
 لا يضرب ضربه إلا في المواجهة ..
 ولكن من المستحيل أن يواجه المرء دائما خصوما
 شرفاء ..
 لقد هاجمه رجال أمن الفندق من الخلف غيلة ، فأمسك
 اثنان منهما نراعيه ، وأحاط الثالث وسطه بساعديه ، في
 حين قبض الرابع على مؤخرة عنقه في قوة ..
 ولم يدر أحدهم أنهم تعاونوا دون قصد ، لجعله هدفا
 سهلا لخصمه الروسي ، الذي صوب إليه مسدسه ، وهو
 يصرخ بالروسية :
 - خسرت يا رجل .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى اعتمد (أدهم) على الرجلين اللذين يمسكان ذراعيه ، ووثب بقدميه فى أن واحد ، فطاحت اليسرى بالمسكن من يد الروسى ، وركلته اليمنى فى أنفه مباشرة ..

وعندما تراجع الروسى ، مع عنف الركلة ، هبط (أدهم) على الأرض بقدميه ، ثم جذب ذراعه اليمنى إلى الأمام بكل قوته ، ومعها رجل الأمن المتعلق بها ، وغرس ركبته فى معدته بكل قوته ، فتأوه رجل الأمن ، وانحنى ، وهو يفلت ذراع (أدهم) اليمنى ، فانتقلت قبضته تحطم فك الرجل ، ثم أكملت طريقها لتدور حول كتفه ، وتلطم ذلك الذى يقبض على مؤخرة عنقه فى أذنه مباشرة ..

وصرخ الرجل ، وهو يتراجع فى ألم ، ممسكاً أذنه المصابة ، فى حين دارت قبضة (أدهم) اليمنى حول عنقه ، وهو يدفع رجل الأمن الممسك بذراعه اليسرى إلى الأمام ..

والتفت قبضة (أدهم) بفك الشرطى فى صوت مخيف ، أشبه بقرقة عظام تتحطم ، قبل أن يسقط رجل الأمن الثالث فاقد الوعي ..

وفى تلك اللحظة ، صاح الروسى :

- لن يمكنك أن تربح كل شيء .

قالها ، وهو ينقض على (أدهم) ، ويكيل له لكمة كالقنبلة ، أمال (أدهم) رأسه فى مرونة وسرعة مدهشتين لتلاقيها ، فاستقرت على أنف الشرطى الممسك به من الخلف ، وحطمت بصوت مسموع ، وأطاحت بالشرطى نفسه فى عنف ، فانفلت منه (أدهم) ، واستقبل لكمة الروسى التالية على ساعده ، ، قائلًا له بالروسية :
- ألا تجيد شيئًا سوى توجيه الضربات أيها الرفيق ؟

ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، مستطرذا :

- إنك حتى لا تفعل هذا بأسلوب سليم .

كانت اللكمة من القوة ، بحيث تكفى لتحطيم فك ثور قوى ، ولكن العجيب أن الروسى اكتفى بصرخة ألم ساخطة ، ثم انقض على (أدهم) وأمسكه من وسطه ، وحمله إلى أعلى ، واندفع به نحو الباب ، وهو يطلق صرخة مخيفة :

وعبر الاثنان الباب فى مشهد رهيب ، أثار فزع الجميع ، و (أدهم) يكيل اللكمات للشاب ، هاتفاً :
- مَمْ صنعوك يا هذا ؟! ألا تشعر بالألم قط ؟!

فقد الشاب توازنه بفتة ، عندما ارتطم بحاجز السلم ، مع الضربة التى أصابه بها (أدهم) بين عينيه ، فسقطا معاً على درجات السلم ، وراحا يتكحرجان فوقها فى

عنف ، عبر طابقين كاملين ، حتى استقرأ فوق درجات سلم الطابق الأول ..

كل هذا دون أن يقلت الروسي (أدهم) لحظة واحدة ، فاستجمع هذا الأخير قوته كلها فى قبضتيه ، وهوى بهما على مؤخرة عنق الشاب ، هاتفاً :

- حتى الثيران لها نقاط ضعف .
أطلق الروسي خوآراً جعله أشبه بالثور بالفعل ، وجسده يتهاك فوق السلم .

وفى نفس اللحظة ، التى نهض فيها (أدهم) واقفاً ، ارتفع صوت موظف استقبال الفندق ، وهو يصيح فى هلع :
- أسرعوا .. لقد رأينا المشهد على شاشة المراقبة ، فى الطابق السادس ، ولكننا لم نتصور أيذا أن تتطور الأمور إلى هذا الحد المخيف .. أسرعوا بالله عليكم .
استدار (أدهم) يتطلع إلى رجال الشرطة السويسرية ، الذين يصعدون فى درجات السلم نحوه على عجل ، وأحدهم يشير إليه بمسدسه ، هاتفاً :

- توقف يا رجل .. إننا نلقى القبض عليك باسم القانون .
لم يكن (أدهم) مستعداً لإضاعة الوقت فى تحقيقات الشرطة ، أو استجوابات القضاء ، لذا فقد وثب من الطابق الأول إلى الأرض ، هاتفاً :
- فيما بعد .

صاح رجل الشرطة فى ذهول :
- رباه .. لماذا يفعل هذا ؟

أما (أدهم) ، فلم يكذب يهبط على قدميه ، حتى انطلق يعدو بكل قوته ، متفادياً المدخل الرئيسى للفندق ، حيث تقف سيارة الشرطة ، وعبر الممرات الخلفية ، ورجال الشرطة يتدفعون خلفه ، ويرتطمون بالأوانى وأدوات التنظيف ، فى قطاع الخدمات ، فى حين يدور (أدهم) حولها فى براعة ، أو يقفز فوقها فى خفة ، حتى بلغ المخرج الخلفى للفندق ، ولكنه لم يكذب يعبره بقفزة مرنة ، حتى سمع صوتاً مألوفاً ، يقول بالروسية :

- كنت أعلم أنك ستخرج من هنا .
وقبل أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، هوت ضربة عنيفة على مؤخرة رأسه ، و ...
وفقد وعيه على الفور ..

★ ★ ★

أشعل رجل نحيل بالغ الطول سيجاره فى هدوء ، ونفت دخانه فى عنف ، قبل أن يلتفت إلى (كيلرمان) ، قائلاً :
- إنه قصور شديد يا مستر (كنوبى) .. من الواضح أن تلك الشقراء كانت تتعقبك إلى هنا .
ابتسم (كيلرمان) فى سخرية ، وهو يقول :

- لو أنه هناك قصور ، فهو يغود إليكم يا مستر (ستيفان)
- أو أيا كان اسمك - فقد كنت أركب سيارتكم ، وأتبع تعليماتكم ، و ...

قاطعه (ستيفان) بإشارة من يده ، قائلاً :

- يبدو أنك لم تفهمنى جيداً يا مستر (كنوبى) .. كنت أقصد أنه قصور شديد فى كفاءة عملائكم ، الذين لم ينجحوا فى إخفاء أنفسهم ، عندما تعقبوك إلى هنا .

اتعقد حاجباً (كيلرمان) فى شدة ، وهو يقول محتثاً :
- عملاًؤنا ١٤ .. لا يوجد هنا أى عملاء ملوأي يا مستر (ستيفان) .. لقد حضرت وحدى ، طبقاً لاتفاقنا .

ابتسم (ستيفان) فى سرية خبيثة .. وهو يقول :
- ومن قال إنك تتبع تعليماتنا دائماً يا مستر (كنوبى) ؟ .. ألم يكن من المفروض أن نلتقى بلا أسلحة ؟

أجابهُ (كيلرمان) فى توتر :
- إنكم تضعون بوابة أمن عند مدخل الفيلا ، ولقد سلمت سلاحى ، وعبرتها ، ولم تتطلق إشارتها .

نفت (ستيفان) بخان سيجارته ، وهو يقول :
- هذا لأن المهندس الآخر ، الذى تخفيه فى حزامك من الخلف ، مصنوع من الألياف الزجاجية ، وليس من المعدن .

صمت (كيلرمان) لحظة ، صوب خلالها ثلاثة من الرجال مستشارتهم إلى رأسه ، قبل أن يلتقط المهندس الآخر ، ويقدّمه لأحدهم ، قائلاً :

- فى عملنا ، لا ينبغي أن تمنح ثقتك كاملة .

ابتسم (ستيفان) فى ظفر ، قائلاً :

- بالطبع ، والسبب نفسه نستخدم جهازاً خفياً للأشعة السلبية ، تكشف كل ما يخفيه الزائر عن بوابة الأمن التقليدية .

تراجع (كيلرمان) فى مقعده ، قائلاً :

- لقد صنعتُم من هذه الفيلا قلعة حصينة .

هزّ (ستيفان) كتفيه ، وهو يقول :

- هذا يشعرك بالمزيد من الأمان .. أليس كذلك ؟

مطّ (كيلرمان) شفطيه ، مغمغماً :

- ريثما ؟

ثم اعتدل ، مستطرداً فى حسم :

- والآن أعتقد أنه من الأفضل ألا نضيع مزيداً من الوقت .. أين تلك الأسطوانة المدمجة ؟

رفع (ستيفان) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، قبل أن يقول :

- بهذه السرعة ؟

أشار (كيلرمان) بيده ، مجيباً :

- لا داعي للانتظار يا مستر (ستيفان) .. أنتم تظنون أن تلك الشقراء تبعثني إلى هنا ، وأنها واحدة من عميلاتنا ، وأنا أصر على أنها ليست كذلك ، وحتى موتها لن يزيل الشك والقلق في نفسي ، فكونها لا تعمل لحسابنا ، يعني أنها تتجسس علينا ، وهذا أكثر خطورة .

ابتسم (ستيفان) ، مكملًا :

- لذا فأفضل وسيلة هي إنهاء الصفقة ، والحصول على الأسطوانة المدمجة ، فتنتهي العملية ، ويذهب احتمال الفشل .
لوح (كيلرمان) بيده ، قائلاً في صرامة :

- عندما يتعلق الأمر بنا ، لا يوجد احتمال للفشل يا مستر (ستيفان) ، كل ما في الأمر أنني ، فور حصولي على الأسطوانة ، سأستخدم خطأ هاتفيًا سريعًا ، لنقلها إلى كمبيوتر متأهب ، لدينا هناك في (فرجينيا) (*) ، وبعدها يمكنني تحطيمها ، واعتبار أن المهمة قد انتهت بنجاح .
أوما (ستيفان) برأسه إيجابًا ، وقال :

- كل هذا عظيم .. ما دمتم ترغبون في إنهاء الأمر بهذه السرعة ، فأعتقد أننا لن نتفاوض طويلًا بشأن الثمن الذي نطلبه .

(*) يقع المقر الرئيسي للمخابرات المركزية الأمريكية (C. I. A) في ولاية (فرجينيا) .

التقى حاجبا (كيلرمان) ، وهو يسأل في حذر :

- وما الثمن الذي تطلبونه يا مستر (ستيفان) ؟

النقط (ستيفان) نفسًا عميقًا من سيجارته ، وثقله في قوة ، قبل أن يتطلع إلى (كيلرمان) ، مجيبًا في حزن :

- مئيارًا .. إننا نطلب مئيارًا من الدولارات بالتتمام والكمال يا مستر (كنوبس) (*) .

واتسعت عينا (كيلرمان) في دهشة ، فقد كان هذا الرقم مفاجئًا ..
مفاجئًا بشدة ..

★ ★ ★

« ماذا دهاك يا (أدهم) ؟ .. »

تردد السؤال في عقله ، الذي يستعيد وعيه في ببطء ، وبدأ يشعر بحركة ما حوله ، وببرودة زائدة ، وهو يتابع حوار الصامت مع نفسه :

- كل شيء يبدو لك مرهقًا ، في الآونة الأخيرة .. لم تعد حيويته كما كانت .. لم تعد كما كنت .

كان يبدو وكأنه يخائب نفسه ، على سقوطه في أيدي خصومه ، وهو يلتجئ عينيه في ببطء ، ويحرق في الشخص

(*) المئيار : ألف مليون .



الجالس إلى جواره في اهتمام ، ويدرك أنه مقيد المعصمين
في إحكام ..

لم يستطع تمييزه في البداية ، مع ذلك الضباب
الغفيف ، الذي يغشى بصره ، والذي لم يلبث أن اتجاب في
سرعة ، ليهتف :

- آه .. (كوربوف) .. صديقي القديم (سيرجي
كوربوف) .

نفث (كوربوف) دخان سيجارته الروسية في قوة ،
قبل أن يقول في برود :

- لست أذكر أبدا أننا كنا صديقين يا ر... يا (أدهم) .
ابتسم (أدهم) ، وهو ينهض جالسا ، على طرف
الفراش ، وقال :

- يبدو أنك كدت تخاطبني بالرفيق (أدهم) .. ليس من
السهل أن يتأقلم المرء على التغيير .. اليس كذلك ؟
رمقه (كوربوف) بنظرة باردة ، وهو يقول :

- ربما .
هم (أدهم) بالنهوض ، فهب شخص ما من منطقة
ظل ، في ركن الحجرة ، وصوب إليه مسلحا كبيرا في
صرامة شديدة ، فالتفت إليه (أدهم) في هدوء ، وابتسم
في سخرية ، قائلا :

ابتسم (أدهم) ، وهو ينهض جالسا ، على طرف الفراش ، وقال :

- يبدو أنك كدت تخاطبني بالرفيق (أدهم) ..

- مرحى .. إنه ذلك الوسيم ، الذى اشتبك معى فى القندق .. قل لى يا هذا : كيف أطلقوا سراحك ؟

أجابه (كوريوف) :

- تدخلت سفارتنا بالطبع ، ف (شلينكو) يحمل جواز سفر دبلوماسيًا .

قال (أدهم) متهكمنا :

- اسمه (شلينكو) إذن !.. رائع .. الاسم والشكل يتفقان فى الغلظة والسخافة .. قل لى يا (كوريوف) : أين دريتم حائط الصد هذا ؟.. أفى حظيرة ثيران ؟!

زجر (شلينكو) فى غضب ، وجذب إبرة مسدسه الكبير ، ولكن (كوريوف) أشار إليه بالصمت ، وهو يقول :
- شيء مثل هذا ؟ فقد تم تدريب (شلينكو) ضمن برنامج خاص ، بحيث ترتفع درجة احتماله إلى الحد الأقصى .

قال (أدهم) ساخراً :

- أسلوب جيد ، بالنسبة لمن يتلقى الضربات .

اتخذ حاجبا (كوريوف) ، وهو يسأله بقتة :

- ماذا كنت تفعل فى حجرة (كيلرمان) ؟

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يقول :

- (كيلرمان) من ؟!.. لقد تسلفت إلى حجرة (برت

كنوبى) ، و ...

قاطعه (كوريوف) فى صرامة :

- لعبة طريقة يا سيد (أدهم) ، ولكننى أعتقد أن وقتنا لا يسمح لنا بإضاعة ساعة أو ساعتين فى مناورات سخيفة .

ثم مال نحوه ، مستطرذا :

- أنتم تعلمون بأمر الأسطوانة المدمجة .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء مستفز :

- ربّما .

ازداد اعتقاد حاجبى (كوريوف) ، وهو يقول :

- يبدو أنك مازلت تصرّ على إضاعة الوقت يا مستر

(أدهم) .. فليكن .. لقد أدركنا مثلك خدعة (جبر) ،

واستخدمنا الكمبيوتر للبحث عن عميل آخر ، فعثرنا على

(كيلرمان) ، وذهبنا إليه ، وبدلاً من أن تجده ، وقعنا

على صيد ثمين مثلك .

وتألفت عيناه الضيقتان ، وهو يضيف :

- فماذا تفعل ، لو أنك فى موضعنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- أو اصل البحث عن (كيلرمان) .

لوح (كوريوف) بسبابته أمام وجهه فى بطء ، قبل أن

يقول :

- خطأ .. (كيلرمان) سيعود إلى حجرته بالفندق ،
وسيتولى (إيفان) و (أنستازيا) أمره ، أما الصيد
الثمين ، فلا يمكننا إضاعة فرصة نادرة للتخلص منه .
رفع (أدهم) حاجبيه ، في دهشة مصطنعة ، وهو يقول
ساخرًا :

- هل أخيفكم إلى هذا الحد يا عزيزي (كوربوف) ؟
مطّ الروسى شفتيه ، وهو يجيب :

- لا يمكننا إنكار خطورتك يا سيد (أدهم) ، ولا مدى
ما نجشمنّا إياه من متاعب ، كلما التقيتا ، ومن المؤكد أن
وجودك بين صفوف المخابرات المصرية يمنحها نقطة
تفوق ، ويضع في طريقنا دومًا حجر عثرة ، ولا سبيل
لإنهاء هذه المشكلة المزدوجة ، إلا ...

بتر عبارته بفتة ، وتراجع في مقدمه ، ورمى (أدهم)
بنظرة باردة ، قبل أن يكمل في صرامة :

- إلا بالقضاء التام عليك .

نطّل (أدهم) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :
- وبهذا تزيجنى عن طريقك ، وتتطلق الشيوعية من
عقالها ، لتسيطر مرة أخرى على شمال شرق (آسيا) .
بدت الحيرة لحظات على وجه (كوربوف) ، قبل أن
يستعيد صرامته ، ويشير إلى (شلينكو) ، قائلاً :

- نفذ .

زمجر (شلينكو) فى جذل ، واندفع نحو (أدهم) ، و ...
وفجأة ، تحرّك (أدهم) ..

كان معصاه مقيدان خلف ظهره ، ولكن هذا لم يمنعه
من القفز فى مرونة ، وركل المسدس من يد (شلينكو) ،
ثم دار حول نفسه فى سرعة مذهلة ، ووجّه ركلة ثانية
قوية إلى صدر الروسى ، الذى ارتطم بالجدار ، ثم ارتدّ فى
عنف ، لتستقبله ركلة ثالثة فى أنفه مباشرة .
ولكن (كوربوف) أيضًا تحرّك فى سرعة ..

لقد انقضّ على (أدهم) من الخلف ، وكبّل ذراعيه
ووسطه ، وهو يهتف :
- إنه لك يا (شلينكو) .

كان الروسى الشاب قد تلقّى من الركلات ما يكفى
لتحطيم رجل ناضج ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، ظلّ
محتفظًا بوعيه ، وهو يتقضّ على ساقى (أدهم) ،
ويمسكهما فى قوة ، ثم يقيد كاحليه بسلسلة معدنية
سميكة ، فهتف (أدهم) :

- يبدو أننى كنت على حق .. إنهم يدربونك فى حظيرة
ثيران .

زمجر (شلينكو) ، وهو يلقي (أدهم) أرضًا فى قسوة ، ثم
جذبه من السلسلة المعدنية فى قسوة إلى خارج المكان ..

وهنا فقط ، انتبه (أدهم) إلى طبيعة المكان ..

إنه كوخ صيد بسيط ، وسط تلوج الشتاء في (جنيف) ..
ولقد جذبته (شلينكو) خارجه لعشرة أمتار ،
و (كوريوف) يتبعهما في هدوء ، حتى بلغوا فجوة
صناعية ، في سطح بحيرة متجمدة ، وهناك قال
(كوريوف) بروده العجيب :

.. لا تعبده أمراً شخصياً يا سيد (أدهم) .. إنه عمل معض.

ثم أشار إلى (شلينكو) ، الذي ثبت كرة معدنية ثقيلة في
السلسلة ، التي تربط قدمي (أدهم) ، الذي قال ساهاً :
- أعلم هذا يا عزيزي (كوريوف) ، أرجو أن تذكر أنت أيضاً
هذا ، عندما أعود لأحطم أنفك .

ابتسم (كوريوف) في سخرية ، وأشار إلى (شلينكو) ،
الذي حمل (أدهم) في خفة مدهشة ، و ...
وأنقاه في الفجوة ..

ومع ارتطامه بالماء المتلجج ، انتفض جسد (أدهم) في قوة ،
وبدأ محاولاته للتخلص من القيود ، وهو يفوق إلى الأعماق ..
ويفوق ..
ويفوق ..

★ ★ ★

٦ - القرار ..

سرت موجة عنيفة من التوتر في جسد (كيلرمان) ، وهو
يقف أمام مدير أمن الفندق ، الذي بدأ مضطرباً ، وهو يقول :

.. ليست أرى كيف أصف لك ما حدث يا مستر (كنوي) ..
يبدو أن أحدهم حاول اقتحام حجرتك ، ودار شجار عنيف ،
بينه وبين رجل آخر .. والواقع أن كلمة عنيف هذه تبدو
مقايضة ، بالنسبة لما حدث يا مستر (كنوي) ، فقد كان
قتالهما أشبه بمعركة زعامة ، بين اثنين من أسود الأذغال .
راح يشرح له ما حدث في ارتباك ، حتى بلغ تلك
اللحظة ، التي أطلق فيها (أدهم) النار ، وأطاح بمسدسات
رجال الأمن الأربعة ، فزاد العناد حاجبي (كيلرمان) في
شدة ، وهو يقول :

- هل كنتي بإطلاق النار على المسدسات وحدها ؟
لوح مدير الأمن بكفه ، قللاً في حيرة :
- نعم يا مستر (كنوي) .. هذا ما حدث بالضبط ..
كان بإمكانه قتلهم جميعاً ، ولكنه اكتفى بالإطاحة
بمسدساتهم .. هل تصدق هذا ؟

لم يكن الرجل ينتظر جواباً ، فقد طرح سؤاله ، ثم
واصل روايته في ارتباك متفعل ، في حين تفجر عقل
(كيلرمان) بتساؤل عنيف ..
لماذا لم يقتل الرجال الأربعة ؟..

القصة التي سمعها ، تشير إلى صراع بين اثنين من
الشقر ، أحدهما روسي ، وهو ذلك الذي ألقى القبض
عليه ، وتدخلت سفارته للإفراج عنه ..
ولكن ماذا عن الثاني ؟..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى تفكير عميق ..
رجل واحد فحسب ، في هذا العالم المعقد ، مازال
يحافظ بقطرته الطبيعية ، ويرفض قتل البشر بلا مبرر ..
رجل يساوي وحده جيشاً كاملاً كما يؤكد ملفه ..
(أدهم صبري) ..

رجل المخابرات المصري ، الذي صار أشهره
بالأسطورة ، في عالم القموض والأسرار ..
(أدهم صبري) ، الذي تتمنى نصف أجهزة المخابرات
في العالم تصفيته ، ويطمح النصف الآخر إلى ضمه إليه ..
وفي توتر ، قاطع (كيلرمان) مدير أمن الفندق ،
ليسأله :

- أنت واثق من أنه لم يقتحم الحجرة بالفعل ؟

أجابه الرجل مرتبكاً :

- من المؤسف أننا نكتفي بالمراقبة ، ولا نحفظ
بتسجيلات بامستر (كنوبي) ، ولكن رجال الأمن يؤكدون
أنهم كانوا سينتبهون بالتأكيد ، لو جرت محاولة لاقتحام
حجرتك ، وصدقني يا مستر (كنوبي) .. رجالنا كلهم
يتميزون بكفاءة نادرة ، ولقد تحركوا فور حدوث
الاشتباك ، ولكن ..

قاطعه (كيلرمان) في صرامة :

- لا بأس .. لا بأس .. أنا أصدقك .

ثم اندفع إلى المصعد ، واستقله إلى الطابق السادس ،
وتوتره يتصاعد مع كل ثانية تمر ..
لم يعد لديه أدنى شك في أن هذا الرجل الثالي هو (أدهم
صبري) ..

وهذا يعني أن الأمر صار بالغ الحساسية والخطورة ..
وأن المصريين اقتحموا اللعبة ..
وكذلك الروس ..

بدت له المسافة أشبه بميل كامل ، قبل أن يتوقف به
المصعد في الطابق السادس ، فغادره في لهفة ، واتجه إلى
جناحه في خطوات واسعة سريعة ، ولم يكد يصل إليه ،
حتى انحلى يبحث عن ذلك الخيط الدقيق ، بين ضلقتي

صرخ (جير) :

- كم ١٢ .. إنه مجنون حقًا .. لقد رصدوا مائة مليون دولار فحسب للعملية كلها ، بما فيها التكاليف والمكافآت ، فكيف يطلب وحده مليون دولار ١٢

أجابه (كيلرمان) :

- انتظر يا رجل ، فليس هذا هو الجزء الأسوأ في الأحداث .. لقد كشف الروس والمصريون أمرى ، ودار بينهما قتال عنيف هنا ، منذ بضع ساعات .

هتف (جير) :

- ماذا ؟ .. هذا يجعل الأمر أكثر تعقيدًا .

قال (كيلرمان) فى صرامة :

- بل يجعله أشبه بالكارثة يا (جير) .. هل تعلم من الذى أرسله المصريون للقيام بالمهمة ؟

ودون أن ينتظر جوابًا لسؤاله ، أدنى شفتيه من جهاز الاتصال ، مستطردًا بلهجة خاصة :

- (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (جير) فى عنف ، وكاد يقفز إلى الخلف ، وكأنما صعقه تيار كهربى قوى ، وانعقدت صرخة تحمل اسم (أدهم) فى حلقه ، فسل ثلاث مرات متتالية فى قوة ، وكأنما يلفظها مذعورًا ، قبل أن يجيب فى صوت مبجوح :

- أنت على حق .. إنها كارثة .

أجابه (كيلرمان) فى حزم :

الباب ، وعندما عثر عليه فى موضعه ، تنفس الصعداء ، وفتح الباب فى حرص ، وأغلقه خلفه فى سرعة ، ثم رفع طرف البساط ، وابتسم فى ثقة ، عندما وجد قطعة البسكويت الرقيقة سليمة ، واعتدل قائلاً :

- إذن فلم يجد زميلنا (أدهم) وقتًا للدخول .

ثم اتجه إلى دولاى ملبسه ، والتقط حقيبته الصغيرة ، وجذب جزءًا من إطارها الأتيق ، ورفع إلى شفتيه ، قائلاً :

- (جير) .. أنا (كيلرمان) .. هل تسمعنى ؟

كان ذلك الشيء ، الذى يمسك به ، عبارة عن جهاز اتصال بالغ الحساسية ، يتصل بالأنقمار الصناعية مباشرة ، وينقل حديثه إلى أية بقعة يشاء ، عبر مدى واسع للغاية .. وفى مبنى السفارة الأمريكية فى (برن) ، التقط (جير) رسالته ، وسأله فى لهفة :

- ماذا تم يا (كيلرمان) ؟

أجابه (كيلرمان) فى حزم :

- ليست لدى أخبار سارة يا (جير) .. لقد اتصل بى هؤلاء المجانين ، واصطحبونى إلى قبلا فى الضواحي ، وهناك التقيت برجل أطلق على نفسه اسم (ستيفان) ، قال إنه مستعد لمنحنا تلك الأسطوانة المدمجة ، مقابل مليار دولار .

يا (كيلرمان) .. إنه يحتاج إلى قرار حاسم من هناك .. من
(واشنطن) .

وكان هذا يعنى ضرورة إجراء سلسلة من الاتصالات
السريعة ..
والحاسمة ..

★ ★ ★

كانت المياه باردة كالثلج ، و (أدهم) يغوص فى
أعماقها كالحجر ، مع تلك الكرة المعدنية ، التى تجذبه إلى
أسفل فى قوة ، عبر تسعة أمتار ، هى عمق البحيرة فى
تلك المنطقة ..

ولم يكد جسده يستقر فى القاع ، حتى انثنى جسده فى
مرونة مذهشة حتى كادت ركبته أن تلتصقا ب صدره ، ودفع
عجزه بين فراغ ذراعيه ، ثم بذل قصارى جهده ، ليحمل
تلك الكرة الثقيلة ، فى هذا الوضع الشاق ، ثم ألقاها بين
ذراعيه ، وجذبها إلى الأمام ، ليخص قديمه من بينها ..
كانت مناورة أشبه بما يفعله رجال السيرك ، ولكن
جسده العرن وإرادته القولاذية اشتراكا لإتجاحها ، حتى
تصبح يده أمام جسده وليسأ خلفه ..

ولم يكد ينجح فى هذا ، حتى انحنى يحل تلك السلسلة ،
التي تربط كاحليه ، والتي تتصل بها الكرة المعدنية
الثقيلة ..

لا يوجد سوى حل واحد لمثل هذا المرقف .
سأله (جير) ، الذى لم يستعد جائه بعد :
- وهو ؟

أجابه بسرعة :
- انتهاء العملية .

سأله فى شىء من العصبية :

- هل تدفع ملياراً من الدولارات بهذه البساطة ؟
قال (كيلرمان) فى لهجة سريعة ، تحمل شيئاً من الجذل :
- أو تحصل على الأسطوانة المدمجة بأقل التكاليف .
صمت (جير) لحظة ، قبل أن يسأله متوتراً :
- ما الذى ترمى إليه يا (كيلرمان) ؟
أجابه (كيلرمان) فى استمئاع واضح :

- عملية مباشرة يا رجل .. فريق من انتحاريينا يقتحم
تلك القبلا اللعينة ، ويلقى القبض على (ستيفان) ، ونجبره
على منحنا تلك الأسطوانة المدمجة ، ثم نكافئه بعدها
برصاصة من الذهب الخالص ، فى منتصف جبهته .
صمت (جير) طويلاً هذه المرة ، حتى أن (كيلرمان)
غمغم فى لهفة :

- ما رأيك ؟

أجابه (جير) فى خفوت :

- شن حرب صغيرة كهذه لا يصلح فيه قرارى وحدى

وضاقت أنفاسه ، وناء صدره بحمله ، وهو يبذل ذلك
الجهد الشاق ، على عمق تسعة أمتار ، وسط مياه مثلجة
كهذه ..

ولكن تيارات الحمل الباردة ، كانت تجعل المياه في
القاع أقل برودة من مثيلتها عند السطح (*) ، مما بث في
جسده قليلاً من النشاط ، الذي ساعده على أداء المهمة ..
وعندما تخلص من الكرة المعدنية ، كان صدره يكاد
ينهار ، مع احتياجه الشديد للأكسجين ..

وبكل قوته ، ضرب (أدهم) قاع البحيرة بقدميه ،
ودفع جسده إلى أعلى ، وهو يهتف في أعماقه :

- حاول أن تحتل يا (أدهم) .. ابذل قصارى جهدك ..
نصف دقيقة أخرى وتتجاوز هذه المحنة ..

كان الضغط على أذنيه عنيفاً ، ولم يكن من الممكن أن
يصعد إلى السطح دفعة واحدة ، وإلا تكوّنت فقاعات
النيتروجين (**) في دمه ، وقتلته بلا رحمة (***) .

(*) حقيقة علمية .

(**) النيتروجين : عنصر غازي ، لائون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ،
رمزه (ن) ، يكون حوالي أربعة أخماس الغلاف الجوي ، وهو لا يشتعل
ولا يساعد على الاشتعال ، خامل نوعاً ما ، ولكنه يتواجد في كثير من
المركبات القفالة ، مثل حمض النيتريك والنشادر ، ويدخل في تركيب
الأحماض النووية .

(***) حقيقة علمية .

لذا فقد كان عليه ، على الرغم من ضيق صدره ، أن
يصعد إلى السطح على مراحل منتظمة ..

ولكن المشكلة أنه بشر ..

ولكل بشر احتياجاته ..

وقدراته ..

وعلى الرغم من أن (أدهم) قد تلقى تدريبات كثيرة
ومكثفة ، زادت من اتساع رنتيه ، وقدرتها على
الاستغناء عن الأكسجين طويلاً ، إلا أن الفترة التي قضاها
تحت الماء ، والجهد الذي بذله ، جعله الهواء ينفذ بسرعة
من صدره ، فبدأ يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

و ...

فجأة ، ارتطم رأسه بطبقة الجليد ، في قمة البحيرة ..
ومع الارتطام ، قفزت إلى رأسه فكرتان أساسيتان ..
الأولى أنه فقد الفجوة ، التي يمكنها أن تحمله إلى
الخارج ، وصار سجيناً بين مياه البحيرة المثلجة وسطحها
المتجمد ..

والثانية هي أنه توجد دائماً طبقة من الهواء ، بين
السطح المتجمد والمياه (*) .

(*) حقيقة علمية .

وكانت الفكرة الثانية هي أكثر ما يهمة ، في الوقت الحالي ..

وبسرعة ، أمال رأسه إلى أعلى ، ودفع أنفه وقمه خارج المياه المتلجة ، وشعر بالهواء البارد يندفع عبرهما ، ويملاً رئتيه ، وينشر في صدره ألماً عجيبة ، لم تلبث أن تلاشت في سرعة ، عندما فقد ذلك الهواء بروذته ، مع دفء الجسد الداخلي ، وتمدد ليملاً صدره ورئتيه ..

وخفق قلبه في قوة وارتياح ، وهو يحمد الله (سبحانه وتعالى) على أنه كالن من ذوى الدماء الحارة (*) ، وإلا لتجمد جسده بسرعة ، في هذه المياه المتلجة .. ولكن مازالت أمامه مشكلة كبرى ..

مشكلة البحث عن مخرج .. وبكل ما يملك من سرعة وقوة ، وفي محاولة لبث الدفء في جسده ، راح يسبح بمحاذاة السطح المتجمد ، بحثاً عن الفجوة التي أسقطوه منها إلى المياه المتلجة .. ولكن الأمر لم يكن سهلاً أو بسيطاً ..

(*) الكائنات ذات الدماء الحارة : كل الثدييات تقريباً ، وعلى رأسها الإنسان ، من ذوى الدماء الحارة ، وهذا يعنى أن درجة حرارة الدماء في عرونها تنطق ثابتة ، مهما اختلفت درجات الحرارة خارج الجسم في صعود أو هبوط ، وهذا يمنحها قدرة أكبر على مواجهة أنواع الطقس المختلفة والتكيف معها .

نقد تجمدت أطرافه ، وبدأ الدوار يكتنف رأسه ، وهو يبحث ، ويبحث ، ويبحث ..

دون جدوى .. وفي أعماقه ، ارتفعت صرخة .. قاوم يا (أدهم) ..

قاوم .. لا تستسلم أبداً هذه المرة .. لقد واجهت مواقف أشد عنفاً وصعوبة .. وتجاوزتها ..

فلا تئيس هذه المرة ؟ قاوم ..

قاوم ، واحتمل ..

كان يحاول بث القوة في نفسه ، ومقاومة تلك الآلام الرهيبة ، التي انتشرت في أطرافه ، مع البرودة الشديدة ، و .. وفجأة ، لمح ضوء القمر ..

وخفق قلبه في علف ..

هناك (إن فجوة ، تسأل عبرها ضوء القمر ..

كان الدوار قد سيطر على كيانه كله تقريباً ، وسلبه القدر الأعظم من وعيه ، إلا أن رؤية ضوء القمر بثت شيئاً من الحماس في عروقه ، فدفغ جسده إلى الأمام ، وراح يقترب من تلك الفجوة ..



وفجأة ، رأى ، عبر الجزء الشفاف ، فوهة بتدفية مصوبة إليه ..

ويقتررب ..

ويقتررب ..

ومع كل خطوة بخطوها ، كان دواره يتضاعف ..

ووعيه يتراجع ..

ثم بلغ تلك البقعة ، التي يتسلل عبرها ضوء القمر ..

والنفض قلبه بين ضلوعه ..

إنها لم تكن فجوة وسط السطح الجليدي كما توقع ، بل

كانت مجرد جزء شفاف من السطح المتجمد ..

جزء يشترك مع الأجزاء الأخرى في القوة والصلابة ..

وعلى الرغم من ثقته في قوة السطح المتجمد ، إلا أنه

راح يضربه بكل ما تبقى في يديه المقيدتين من قوة ،

و ...

وفجأة ، رأى ، عبر الجزء الشفاف ، فوهة بتدفية

مصوبة إليه ..

ثم دوى صوت رصاصية ..

واقظت البعثة دفعة واحدة ..

وانتهى كل شيء .

★ ★ ★

٧ - الثلوج ..

ارتسم قلق واضح على وجه مدير المخابرات المصرية ، وهو يقف في حجرته الواسعة ، ويتطلع عبر نافذتها الكبيرة إلى ساحة المبنى في شروق ..

لم يكن قد تلقى أية تقارير أو برقيات من (أدهم) أو (جيهان) ، منذ وصول الأول إلى (برن) ..

ولم يكن هذا أبداً بالأمر الطبيعي ..

بل كان يشير إلى وقوع شيء ما ..

شيء خطير على الأرجح ..

كان يسبح في أفكاره ، عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، مع صوت مدير مكتبه ، وهو يقول :

- برقية من مندوبنا في (برن) يا سيدي .

اندفع المدير إلى مكتبه ، وضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

- أدخلها على الفور .

لم يمض نصف الدقيقة ، حتى كانت البرقية في يد مدير المخابرات ، بعد ترجمة شفرتها ، وكانت تؤكد في وضوح

أن العميد (أدهم صبرى) ، واللقيب (جيهان فريد)

مفقودان ، منذ مساء اليوم السابق ..

وأن (أدهم) قد اختفى ، بعد معركة عنيفة في فندق (البحيرة) ..

و (جيهان) اختفت بعد انفجار سيارتها ..

ولم تكن هذه البرقية مطمئنة أبداً ..

بل كانت على العكس تماماً ، تشير قدرًا هائلًا من

القلق ..

ومن الغموض ..

وفي تور ، أراح المدير البرقية جانتًا ، وانخرط في

تفكير عميق ، قبل أن يضغط زر جهاز الاتصال ، وهو

يقول لمدير مكتبه :

- أريد عقد اجتماع عاجل للمساعدين .

وقبل مرور نصف ساعة إضافية ، كان مساعدوه

يلتفون حول مائدة الاجتماعات ، وهو يطرح عليهم الأمر ،

ثم يسألهم :

- والان ما الذى تقترحونه ؟.. هل ننتظر قليلاً ، حتى

يتضح الموقف ، أم نرسل بديلاً ؟.. ولاحظوا أن الوقت

عامل بالغ الأهمية ، في مثل هذه العمليات ، فالأمريكيون

يتحركون دائماً بسرعة ، والسوفيت لن يضيعوا الوقت في

مهاترات ، وهذا يعنى أننا قد خسرنا كل شيء ، لو أضعنا

الوقت بلا طائل .

قال أحد مساعديه فى اهتمام :

- الواقع أنتى أولى سيادة العميد (أدهم) ثقة كبيرة يا سيدى ، وأعتبره دائماً الشخص المناسب ، لكل العمليات البالغة الحساسية والخطورة ، ومن رأى أن نمحه بضع ساعات أخرى ، قبل أن ترسل بديلاً يربكه ، أو يتعارض معه فى المنهج والأسلوب .
الدفع مساعد آخر ، يقول :

- خطأ .. من الخطأ أن نضيع الوقت ، من أجل احتمال غير مضمون يا سيادة المدير .. إننا لا نعمل للحفاظ على ماء وجه (أدهم صبرى) أو خلافه .. إننا نعمل فقط من أجل (مصر) ، وهذا يعنى أنه لا ينبغى لنا أن نضيع لحظة واحدة ، قد يستفيد منها الخصم ، ويربح المعركة كلها .
راحت المناقشة تدور حول الرأيين ، والمدير يستمع إلى الفريقين فى اهتمام صامت ، حتى يمكنه اتخاذ قرار حاسم ..

ولكن فجأة ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال مرة أخرى ، مع صوت مدير المكتب ، وهو يقول :

- برقية عاجلة من (برن) يا سيادة المدير .
ضغط المدير زر الاتصال ، وهو يقول فى لهفة واضحة ، لم يستطع أو يحاول إخفاءها :
- أحضرها على الفور .

ولم تكد البرقية تصل ، حتى طالعها المدير فى لهفة ، ثم رفع عينيه إلى مساعديه ، الذين لاذوا بالصمت ، وتطلّعوا إليه فى ترقب متسائل ، وقال :

- هذه البرقية أتت فى موعدنا بالضبط يا رجال ، فهى تضع النقط على الحروف ، وتحسم مناقشتنا .
وناول البرقية لأقرب مساعديه ، مستطرداً :
- تحسمها تماماً .

وكان على حق ..
لقد حسمت البرقية المناقشة ..
تماماً ..

★ ★ ★

كانت الشمس تبدأ رحلة الصعود ، فى تلك المنطقة ، عند أطراف (جنيف) ، عندما استعاد عقل (أدهم) وعيه بفتة ، وفتح عينيه ، ليتطلع إلى ما حوله فى دهشة ..
كان يرقد فوق فراش وثير ، ويتنثر بغطاء من القراء السميكة ، داخل حجرة أنيقة ، فى واحد من أكواخ الصيد ، والدفع يحيط بالمكان كله ..

ونفض (أدهم) جالساً فى حيرة ، وهو يتساءل : من أتى به إلى هذا المكان ؟ ..

ومتى ؟ ..

وكيف ؟ ..

لم يكن يرتدى ثيابه أو معطفه ، وإنما يرتدى ثوباً آخر ،
لشخص أقصر منه قامه ، وأكثر بدانة ..

وفي حذر ، نهض (أدهم) ، واتجه إلى باب الحجرة
على أطراف أصابعه ، وقبل أن يبلعه ، انفتح الباب فجأة ،
وظهر على بابه شخص قصير ، أقرب إلى البذانة ، هتف
في ارتياح :

- إذن فقد استعدت وعيك .

ثم أطلق ضحكة قصيرة ، مستطرداً :

- شكلك يبدو مضحكاً في ثيابي ، ولكنها كانت كل
ما لدى ، فلو تركتك داخل ثيابك المبتلة ، في مثل هذا
الطقس ، لتجمدت فوق جسدك ، وأصابتك بأضرار بالغة .
تطلع إليه (أدهم) في هدوء ، ثم ابتسم قائلاً بنفس
اللغة الفرنسية ، التي يتحدث بها الرجل :

- إذن فأنت الذي أنقذ حياتي .

ابتسم الرجل ، قائلاً :

- من حسن حظك .. لقد خرجت ليلاً ، لاصطياد ثعلب
من ثعالب الثلوج ، وسمعت طرقات على سطح البحيرة
المتجمد ، فاتجهت إليه في دهشة ، وفوجئت بك تحته ،
نقاتل لإتقاذ حياتك .

سأله (أدهم) في اهتمام :

- ولماذا أطلقت النار ؟

قلب الرجل كفيه ، وهو يقول مبتسماً :

- وهل تصوّرت أنه يمكنني أن أكسر سطح البحيرة

بقبضتي لأخرجك ؟

مذ (أدهم) يده يصافحه ، قائلاً في امتنان :

- إنني مدين لك بحياتي .

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

- كم يسعدني أن أقوم بعمل يطولني ، ولو لمرة واحدة

في حياتي كلها .

ثم أشار إلى الخارج ، مستطرداً :

- وبالمناسبة ، لقد وضعت ثيابك على المجفف ، وهي جافة

تماماً الآن ، ويمكنك أن ترتديها .. لقد أعددت طعام الإفطار .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- كيف يمكنني أن أشكرك ؟

هز الرجل كفيه ، قائلاً :

- سجد وسيلة بالتأكيد .

ثم سأله في اهتمام :

- ولكن أخبرني .. لقد كنت مقيد المعصمين عندما

عثرت عليك .. أهذا عمل إحدى العصايات ؟

هز (أدهم) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- بل يمكنك اعتباره نوعاً من أنواع المنافسة في

العمل .

لَوْح الرجل بكفه ، هاتفاً :

- اه .. أعرف هذه المنافسات اللعينة ، وما يمكن أن تقود إليه .. سأضطر لبيع هذا الكوخ ، في غضون الأيام القليلة القادمة بسببها .

ثم تنهّد ، مستطرداً :

- ولكن دعنا من حديث الذكريات المؤسف هذا ، ولنتناول طعام الإفطار أولاً ، قبل أن أنفلك إلى المدينة ، لتبلغ الشرطة عما فعلوه بك .. هيا .

تتحنج (أدهم) ، قائلاً :

- معذرة ، يؤسفني أنني مضطر لرفض دعوتك الكريمة يا سيد ..

أجابه الرجل في سرعة :

- (جارفيك) .. (دين جارفيك) .. صاحب متجر (جارفيك) للأغذية في وسط المدينة ، والمشرف على الإفلاس .

أوما (أدهم) برأسه ، مخمخماً :

- إنه لم يفلس بعد يا سيد (جارفيك) .

هزّ (جارفيك) رأسه ، قائلاً وابتنسامته لم تفارق شفتيه :

- إنها مسألة وقت يا رجل .

قال (أدهم) في هدوء :

- من يدري ؟

ثم أضاف بسرعة :

- المهم أنني مضطر لرفض دعوتك ، والانتقال فوراً

إلى المدينة ، فقد فقدت وقتاً ثميناً يصعب تعويضه ، ولست أرغب في إضاعة المزيد .

قال (جارفيك) في حماس :

- فليكن .. أستطيع تقدير هذا .. ارتد ملابسك ،

وسأنقلك إلى حيث تريد فوراً .

كان الرجل كريماً وبسيطاً بالفعل ، ولقد نقل (أدهم)

إلى المدينة ، وهناك استقل (أدهم) واحدة من سيارات

الأجرة ، متجهاً إلى المنزل الآمن ، الذي لم يكذبصل إليه ،

حتى استقبله صوت غاضب يقول :

- أين كنت ؟ .. (إنني أبحث عنك طوال الوقت .

ارتفع حاجباه في دهشة ، وهو يهتف :

- (جيهان) .

كانت شاحبة إلى حد مخيف ، وهناك خدش واضح في

جبهتها ، وآخر بطول ذراعها ، مما جعله يسألها ، وهو

يغلق الباب خلفه :

- ماذا أصابك ؟

روت له كل ما حدث ، وتوقفت لحظة لئلا أنفاسها ،
ثم تابعت :

- كان الحادث كفيلاً بقتلى ، لولا تشيئى الشديد
بمقعدى ، وحزام الأمان الذى أحرص على استخدامه ، كلما
قادت سيارتى ، ولجأى فى القفز خارج السيارة ، قبيل
انفجارها .. لقد اختليت بين الأشجار ، وشاهدت هؤلاء
الأوغاد وهم يتناقشون بشأن موتى ، قبل عودتهم إلى
الفيلا .

وضحكت وهى تمرر أصابعها فى شعرها ، مستطردة :
- أما الجزء الأصعب ، فكان عودتى إلى حيث تركتك ،
عند فندق (البحيرة) .. الناس هنا ليسوا على نفس
الدرجة من الشهامة ، التى عهدناها فى (مصر) .
هز كتفيه ، قائلاً :

- عجباً ! .. تجربتى تؤكد العكس تماماً .

سألته فى فضول :

- كيف ؟

أشار بيده ، قائلاً :

- سأشرح لك فيما بعد .. المهم أننى أرسلت برقية
عاجلة إلى (القاهرة) ، لأطمئنهم على أننا مازلنا نواصل
المهمة .

أطلقت زفرة طويلة ، وتراجعت فى مقعدها ، قائلة :
- يدهشنى هذا ، فبعد ما حدث لى ، وما عرفته من
الفندق ، عما حدث لك هناك ، تصورت أن المهمة قد
فشلت !

أجابها فى حزم :

- ليس بعد .

ثم استطرد ، وقد أطلت من عينيه صرامة الدنيا كلها :
- لقد تعرّفنى (سيرجى كوروبوف) ، على الرغم من
تكررى هذه المرة ، ولكنه سيبدل جهداً أكبر فى المرات
القادمة .. هذا لأتنبأ قُدرت تحويل مسار المهمة .
سأنته فى قلق :

- وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

التقى حاجباه فى صرامة مخيفة ، وهو يجيب :

- يعنى أننا سنحدث انقلاباً هذه المرة يا زميلتى
العزيزة .. سنقاتل بأسلوب جديد ، يقلب الأمور كلها رأساً
على عقب .

وكان قوله يعنى تحولاً جذرياً فى العملية كلها ..

تحول حاد ..

ومخيف ..

★ ★ ★

ابنسم (كيلرمان) ، وهو يستقبل (جبر) ، فى حجرته
بالفندق فى (جنيف) ، وأشار إليه بالجلوس ، قائلاً :
- من المؤكد أن حضورك إلى هنا شخصيًا يعنى الكثير
يا (جبر) .

جلس (جبر) ، وأشعل سيجارته ، وهو يجيب :
- بالتأكيد .

ولفت نخان السجارة فى عرق ، وهو يتطلع إلى
البحيرة الكبيرة ، عبر نافذة الفندق ، قبل أن يستطرد :
- (واشنطن) وافقت على عمليتك الانتخابية .
برفت عينا (كيلرمان) فى جذل ، وهو يقول :
- حطاً ؟

أوماً (جبر) برأسه إيجاباً ، ولفت نخان سيجارته مرة
أخرى ، قائلاً :
- الجنرال بنفسه منحني الموافقة ، ولكن بشروط
خاصة .

تسلل نخان إلى وجه (كيلرمان) وصوته ، وهو يسأل :
- أية شروط ؟

أشار (جبر) بسبابته ، قائلاً :

- أولاً : لابد أن تجرى محاولة أخيرة ، للحصول على
تلك الأسطوانة المدمجة ، أو للتأكد من وجودها فى الغيلا
على الأقل ، قبل أن تتم العملية .

سأله (كيلرمان) فى اهتمام :
- وثانيًا ؟

أجاب (جبر) :

- سيتم اختيار الفرقة الانتخابية من جنود قوى أصول
روسية أو سوفيتية ، وسيتردون ويحملون ما يشير إلى
أنهم روسيون .

رفع (كيلرمان) حاجبيه ، قبل أن بهتف :

- يا للعبقرية !.. لقد أثبت الجنرال براعته بحق هذه
المرة ، فلو نجحت العملية ، سنفوز بالأسطوانة المدمجة ،
بتكاليف تقل خمسمائة مرة عن المبلغ الذى يطالب به هؤلاء
الأغبياء ، أما لو فشلت ، فسيلقون اللوم على الروس ،
مما يضاعف من فرصتنا فى الفوز بالصفقة ، فى حالة
استمرارنا فيها .. عبقرية فذة بالفعل .

وقهقه ضاحكاً ، ثم هز رأسه ، وأضاف فى حزم :
- فليكن يا (جبر) .. سأجرى المحاولة الأخيرة ، ثم

نقوم بالعمل العتيق ..

وفرغ سبابته وأبهره ، مستطرداً فى جذل :

- ونضرب ضربتنا .

قالها ، وعيناه تيرقان فى ظفر ..

ظفر وحشى ..

★ ★ ★

التقى (إيفان) نظرة على ساعة يده ، وهو يجلس داخل
السيارة مع (كوروبوف) ، وعاد يتطلع إلى الفندق ، قائلاً :
- (جير) هناك منذ نصف الساعة .

أجابه (كوروبوف) في برود :
- دعه يأخذ وقته كله .

ثم نفث دخان سيجارته ، ذات الراحة التناذرة ، قبل أن
يستطرد :

- ربما كان هذا آخر ما لديه .

ابتسم (إيفان) في سخرية ، وهو يقول :
- مادمت تقوله ، فليس لدى أدنى شك فيه .
وهز رأسه في تعاطف ساخر ، مضيقاً :
- مسكين (جير) .

لم يكذب ينطقها ، حتى اعتدل (كوروبوف) ، وقال في
اهتمام واضح :
- ها هو ذا .

التقى حاجبا (إيفان) ، وهو يتطلع إلى (جير) ، الذي
غادر الفندق ، واتجه نحو سيارة أمريكية سوداء فاخرة ،
تحمل على مقدمتها العلم الأمريكي ، فأسرع سائقها يفتح
له الباب ، وغمغم (كوروبوف) في ازدياء :
- يا للمظاهر الرأسمالية العفنة !

ابتسم (إيفان) ، وهو يقول :

- حذار يا عزيزي (كوروبوف) .. إنك تسرف في انتقاد
المظاهر الرأسمالية ، على الرغم من أن مجتمعنا يتجه
إليها في خطوات واسعة .

غمغم (كوروبوف) :
- للأسف !

ارتفع حاجبا (إيفان) في دهشة ، وهو يقول :
- هل تكره الرأسمالية إلى هذا الحد ؟

زمر (كوروبوف) ، قبل أن يقول في صرامة :
- لسنا هنا بصدد الحديث عن النظم الاقتصادية ..
هنا .. اتبع هذه السيارة .

ابتسم (إيفان) في شيء من السخرية ، وهو يقول :
- أمرك أيها الرئيس .

وانطلق في هدوء خلف سيارة (جير) ، التي تحمل
علامات ديبلوماسية ، والتي قطعت طريقها بمحاذاة
البحيرة ، ثم انفصلت عنها في طريق آخر ، يقود إلى خارج
المدينة ، وفي داخلها غمغم (جير) :
- يبدو أن هناك سيارة تتبعنا .

أجابه سائق السيارة :

- هذا صحيح يا سيدي .. إنها تسير خلفنا ، منذ أن

غادرنا الفندق ، ولست أدري ما إذا كانت تتعطينا ، أم أنها
في طريقها إلى خارج المدينة مثلنا .

صمت (جير) لحظة ، ثم قال :

- هناك وسيلة بسيطة لاختبار هذا .. توقف إلى جانب
الطريق .

أطاعه السائق ، وتوقف إلى جانب الطريق ، وتحفرت
يده الممسكة بمسدسه المعلق بحزامه ، في حين تأكد
(جير) من إحكام إغلاق أبواب السيارة المصفحة ..

ولكن (كوربوف) قال في حزم :

- واصل طريقك يا (إيفان) .. لا تتوقف .

أطاعه (إيفان) دون مناقشة ، وتجاوز السيارة
الأمريكية في سرعة ، ومضى في طريقه ، فتنفّس (جير)
الصعداء ، وقال :

- إنها في طريقها إلى خارج المدينة فحسب .

ثم أشار إلى السائق ، مستطردًا .

- هيا يا رجل .. انطلق بنا إلى (برن) .

قالها ، دون أن يدرى أن ابتعاد السيارة المطاردة

لا يعنى أن الخطر قد زال ..

لا يعنى ذلك أبدًا ..

★ ★ ★

لم يكد (جير) ينصرف من حجرة (كيلرمان) ، حتى
أطلق هذا الأخير ضحكة مججلة ، وهتف ملوِّحًا بقبضته
في الهواء :

- أخيرًا .

كان يشعر بسعادة جمّة ، لأن القيادة في (واشنطن)
وافقت على قيامه بعملية محدودة ، مع تلك المنظمة
الغامضة ..

هذا لأن طبيعته تتناسب كثيرًا مع اسمه (*) ..

إنه لا يؤمن أبدًا بالمفاوضات والطرق السلمية ..

لا يؤمن سوى بالقتل ..

وحده سفك الدماء يحقق - في رأيه - كل الانتصارات ..

ثم إنه يكره أن يتعامل معه شخص ما يتعال ..

أى شخص ..

وعندما تعامل معه (ستيفان) بهذا الأسلوب ، اتخذ

قرارًا جاسمًا بتأديبه ..

وكلمة التأديب لا تعنى عنده سوى إجراء واحد ..

أن يدمره تمامًا ..

وبلا رحمة ..

(*) (كيلرمان) بالإنجليزية تعنى (الرجل القاتل) .



كان يتفاعل مع ذاته ، عندما ارتفعت فجأة دقات على باب حجرته ، فتحرك في انفعال عجيب ، وهو يقول في حدة :
- من الباب ؟

أتاه صوت أنثوى رقيق ، يقول :
- خدمة الحجرات .. هل طلبت قنخا من الشاي ؟

انعقد حاجباه في دهشة ، وهو يقول :
- الشاي ؟!.. أنا لا أشرب الشاي مطلقا .

باغته صوت من خلفه ، يقول في هدوء ، وبلفة أمريكية سليمة :
- أنا طلبته .

التفت (كيلرمان) في سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم ارتد في عنف ، كمن أصابته صاعقة ، عندما وقع بصره على صاحبه ..

فأمامه ..
أمامه مباشرة ..

كان يجلس آخر شخص يمكنه أن يتوقع رؤيته ، في هذا الزمان وذلك المكان ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

★ ★ ★

كان يجلس آخر شخص يمكنه أن يتوقع رؤيته ، في هذا الزمان

وذلك المكان .. (أدهم) ..

٨ - ضربة مزدوجة ..

التف ثلاثة رجال حول مائدة صغيرة ، في أحد أركان بهو فندقى (البحيرة) ، يراقبون مداخل المكان فى اهتمام ، ثم لم يلبث أحدهم أن التقط جهازا لاسلكيا دقيقا من جيبه ، وقال "عبره فى خفوت :

- كل شيء على ما يرام يا مستر (ستيفان) .. (كنوبى) لم يغادر حجرته حتى الآن ، ولكن أمريكيا آخر جاء لزيارته ، وغادر المكان منذ قليل .

أتاه صوت (ستيفان) ، وهو يقول فى صرامة :
- واصلوا المراقبة جيدا .. أريد أن أعرف كل ما يفعله ذلك الرجل ، قبل أن يعود لإتمام الصفقة .. هل تراقبون هاتف حجرته ؟
أجابه الرجل :

- بالتأكد يا مستر (ستيفان) ، ولكنه لا يستخدمه مطلقا .. يبدو أن لديه وسيلة اتصال أخرى .
سأله (ستيفان) :

- وماذا عن تلك الشقراء ، التى حاولت التسلل إلى الفيلد أمس ؟ .. إنهم لم يعثروا على جثتها فى السيارة المحترقة ، وهذا يعنى أنها لم تلق مصرعها .. حاولوا البحث عن أية معلومات بشأنها .
أجابه الرجل بسرعة :

- سنبدل فصارى جهنما يا سيدى .. لقد حصلنا على رقم شاسية السيارة المحترقة ، وسنبحث عنه بالكمبيوتر ، ونستخرج كل بياناته .

هاتف (ستيفان) فى غضب :
- سيكون هذا أغيب إجراء عرفته ، فى حياتى كلها .. من المؤكد أنها لن تستخدم بياناتها الحقيقية ، مادامت محترفة كما نتوقع .
قال الرجل متوترا :

- لقد وضعنا هذا فى اعتبارنا بالتأكيد يا مستر (ستيفان) ، ولهذا أحضرنا معنا (مالى) الحارس .. إنه الشخص الوحيد الذى رآها ، والذي يمكنه صنع صورة واضحة لها ، بواسطة برنامج الكمبيوتر ، الذى يستخدمه (روميرو) .

قال (ستيفان) فى حدة :
- فليكن .. المهم أن تجدوا معلومات عنها بأسرع ما يمكنكم .

غمغم الرجل :

- سنبذل قصارى جهدنا يا مستر (ستيفان) .. سنبذل قصارى جهدنا .

وانتهى المحادثة ، وهو يتفلس الصعداء ، والتفت إلى رفيقه ، قائلاً :

- هل سمعت يا (مانى) ؟ .. مهمتك ليست بسيرة .

أجابه الحارس المفتول العضلات فى حزم :

- اطمئن يا رجل .. لقد رأيتها جيذاً ، ولامحها محفورة فى ذهنى ، ومنقوشة على تلافيف مخى .. أنت تعرف ذاكرتى الشهيرة .

قال الرجل فى عصبية :

- المهم أن تفلح هذه الذاكرة الأسطورية فى رسم صورة واضحة لها .

أشار (مانى) بسبابته ، وهو يقول :

- قلت لك : اطمئن يا رجل .. يمكننى تعرفها ، حتى ولو كانت وسط الـ ...

بتر عبارته بفتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهب من مقعده ، وهو يحرق فى نقطة ما خارج الفندق ، فسأله زميله فى توتر :

- ماذا أصابك يا رجل ؟ .. هل رأيت شيخاً ؟

أشار (مانى) إلى موقف السيارات التابع للفندق ، وهو يجيب فى انفعال جارف :

- إنها هى .

هب الأول من مقعده ، هاتفاً :

- هى ؟ .. هل تقصد تلك الـ ...

قاطعه زميله فى حزم :

- رويك يا رجل .. إنك تجذب إلينا أنظار الجميع فى

الفندق .. اهدأ واجلس .

ثم سأل (مانى) فى اهتمام :

- أين تلك الفتاة يا (مانى) ؟

أجابه (مانى) فى انفعال :

- ها هى ذى هناك .. فى السيارة الصفراء .. ثالث

سيارة إلى اليسار .

تطلع الثلاثة صبر الزجاج إلى (جيهان) ، التى جلست

خلف عجلة القيادة فى استرخاء ، تطالع واحدة من مجلات

الأزياء الحديثة ، وقال الأول :

- أنت واثق يا (مانى) ؟

- أجابه (مانى) فى حزم :

- لا يمكننى أن أخطئ تعرفها قط .

صمت ثلاثتهم بضع لحظات ، للسيطرة على أعصابهم ،

ثم عاد الأول يقول :

- حسن .. سنغادر المكان في هدوء ، حتى لا نلفت إليها
الانتباه ، ونذهب إليها ، ثم نجبرها على المضي معنا إلى
الغلا ، حتى يستجوبها مستر (ستيفان) بنفسه .

سأله (ماتى) فى اهتمام :

- وماذا لو قاومت فى شراسة ، كما فعلت أمى ؟

ربت الرجل على مسنده تحت إبطه ، وقال :

- سيكون هذا من سوء حظها .

ونهض الثلاثة فى هدوء ، وغادروا الفندق ، ثم اتجهوا
إلى موقف السيارات ، وكل منهم يقبض على مسنده فى
تحفظ ، وما أن بلغوا السيارة ، التى تجلس فيها (جيهان) ،
حتى دفع أحدهم مسنده عبر النافذة المفتوحة ، وألقى

لوهته القاردة بصدغها ، وهو يقول فى صرامة :

- وقعت أيتها المتسللة .

ألفت (جيهان) مجلة الأزياء عن يدها ، وتحركت فى

عنف ..

وكان هذا - بالنسبة للرجل - أشبه بمحاولة

للمقاومة ..

لذا فقد انتقل على الفور إلى الخطوة البديلة ، و ...

وصفط زناد مسنده ..

★ ★ ★

لم يشعر (جير) بالارتياح ، إلا عندما تجاوزت سيارته
حدود مدينة (جنيف) بالفعل ، وانطلقت فى الطريق إلى
(برن) ، فاسترخى فى مقعده ، وراح يطلع مجلة أمريكية
حديثه ، وعاونته السائق على الاسترخاء ، عندما بث داخل
السيارة بعض الموسيقى الكلاسيكية الهادئة ..

ولكن فجأة ، تسخت نغمة عنيفة ..

بوق دراجة من دراجات الشرطة ، أفسد اللحن الجميل ،

وجعل (جير) يعتدل فى حركة حادة ، ويستعيد أضعاف

توتره ، وهو يقول :

- ما هذا بالضبط ؟

ألقى السائق نظرة على المرأة الجانبية للسيارة ،

وهو يقول :

- يبدو أنه أحد شرطة الطرق السريعة .. إنه يشير إلينا

بالتوقف .

أمسك (جير) مسنده ، وهو يقول :

- حذار يا رجل .. ربما كانت خدعة .

أمعن السائق النظر فى المرأة ، وقال :

- السيارة مصفحة على أية حال ، ولن أفتح زجاجها ،

إلا بعد الاطمئنان التام .

صمت (جير) لحظة ، ثم قال :

- فليكن .

تحسّس السائق مسدسه فى تحفّز ، وتوقّف على جانب الطريق ، فاتجه الشرطى إلى يساره ، ووقف يدراجته البخارية ، ثم خلع خوذته ..

وارتفع حاجبا السائق فى انبهار ..

إنه لم يكن شرطيا ، وإنما شرطية ..

شعراء فاتنة ، باهرة الحسن ، تطلعت إليه بابتسامة ساحرة ، وهى تقول :

- أوراقك لو سمحت ..

فتح السائق النافذة المجاورة له ، وهو يقول :

- ها هى ذى .. إنها أوراق ديبلوماسية ، و....

قاطعت فى هدوء :

- من يجلس بالخلف ..

أجابها السائق فى سرعة :

- إنه مستر (واطسون) ، الملحق التجارى للسفارة ،

و....

قبل أن يتم عبارته ، انتزعت تلك الشعراء مسدسها من غده يفتة ، وأطلقت نوحه ..

وشعر السائق بألم فى عنقه ، دون أن يسمع دوى رصاصته ، وقبل حتى أن تتسع عيناه فى دهشة ، كانت طلقة أخرى تصيب (جير) ، الذى هتف ، وهو يرفع مسدسه :

- اللعنة !! إنها رصاصات مخثرة ..

ولم تبال الشعراء الفاتنة بمسدسه ..

ربما لأنها كانت واثقة من المفعول السريع لرصاصاتها المخثرة ، التى أفقنته وعيه ، قبل حتى أن يصوب مسدسه نحوها ..

وفى اللحظة التالية ، برزت سيارة (كوربوف) و (إيفان) من بين الأشجار ، وخرج منها الأول ، قائلاً :

- أحسنت يا (أنستازيا) .. قمت بدورك خير قيام ..

ثم أشعل سيارته ، وهو يقول لـ (إيفان) :

- انقل (جير) إلى سيارتنا ، ثم تول أمر السائق والسيارة ..

حمل (إيفان) (جير) الفاقد الوعي ، ونقله إلى سيارتهما ، ثم أشعل النار فى السيارة الأمريكية ، قائلاً فى سخرية :

- هذا أحد مضار عمل السائق .

وعندما ابتعد ثلاثتهم عن المكان ، لم تكن ضحكات
(إيفان) قد انقطعت بعد ، في حين كانت النيران تلتهم
السيارة في نهم ..
وبلا رحمة ..

★ ★ ★

انتفض جسد (كليرمان) في عنف ، عندما وقع بصره
على (أدهم) ، الذى يجلس فى هدوء ، على المقعد
المنفرد ، فى نهاية الجناح ، تطل من عينية نظرة صارمة ،
تضفى عليه مهابة عجيبة ، جعلت (كليرمان) يتجمد فى
موضعه لحظة ، قبل أن يتحرك فى عصبية ، محاولاً التقاط
مسدسه ، ولكن (أدهم) أبرز مسدسه فى سرعة مذهشة ،
وهو يقول :

- لو أُلنى فى موضعك لما حاولت .

أبعد (كليرمان) يده عن مسدسه فى توتر ، وهو يقول
فى حدة :

- كيف دخلت إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء مستفز :

- من النافذة .

هتف (كليرمان) فى عصبية :

- كيف !؟ .. إننا فى وضخ النهار ، والشارع مزدحم ،

و

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

- سيبرد الشاى يا رجل .

اتسعت عينا (كليرمان) فى دهشة ، وهو يقول :

- ماذا !؟ ..

أجابه (أدهم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

- إنتى أكره تناول الشاى ياردا .

احتقن وجه (كليرمان) فى حنق ، واستدار يفتح

الباب ، وهو يقول لمضيفة القندق فى عصبية :

- شكراً يا جميلتى .. الشاى وصل فى موعده بالضبط .

تطلعت إليه المضيفة فى دهشة ، ودفعت عربة الشاى

إلى داخل الحجرة ، قائلة :

- نحن فى خدمتك يا سيدى .

وقع (كليرمان) الفاتورة ، وهو يقول متوتراً :

- شكراً لك .. سنصب الشاى بأنفسنا .. وداغاً .

قالها ، وهو يدفعها خارج الجناح فى خشونة أدهشتها ،

ثم التفت إلى (أدهم) ، قائلاً فى عصبية :

- ماذا تريد منى بالضبط ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- لا شيء .. فقط أردت أن أتناول قنخاً من الشاى فى

جناحك .. هل تمانع ؟

رمقه (كيلرمان) بنظرة عصبية ، قبل أن يقول :

- أمن المحتم أن لتناور بهذا الأسلوب للسخيف ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- كلاً بالتأكيد .

ثم نهض من المقعد بحركة مباغتة ، وهو يستطرد فى

صرامة :

- إننى أفضل المواجهة المباشرة .

العقد حاجبا (كيلرمان) فى دهشة ، وهو يقول متوتراً :

- أية مواجهة ؟

أتجه (أدهم) فى هدوء إلى عربة الشاى ، وصب لنفسه

قنداً ، راح يرتشفه فى هدوء ، و (كيلرمان) يتطلع إليه

فى توتر بالغ ، قبل أن يجيب :

- أنت تعلم أن كلينا يسعى خلف تلك الأسطوانة

المدمجة يا (كيلرمان) .

مرى التوتر فى جسد (كيلرمان) ، وهو يقول :

- أية أسطوانة ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قائلاً :

- عجباً !.. كنت منذ لحظات ترقص المناورات

السخيفة .

بدا الغضب على وجه (كيلرمان) ، وهو يقول :

- فليكن أيها المصرى .. سنتعامل بأوراق مكشوفة ،

مادمت تحبذ هذا .. نعم .. نحن أيضاً نسعى خلف تلك

الأسطوانة المدمجة ، ولكننا الأقوى .. العالم كله يعرف أن

الـ (سى .. آى .. آيه) هى أقوى جهاز مخابرات فى العالم

أجمع ، ولن يمكنكم الوقوف فى وجهنا أيها المصريون .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

- ولكننا فعلناها من قبل .

هتف (كيلرمان) :

- حظ .. مجرد حظ .. أما فى هذه المرة .. فالحزيمة

ستكون من نصيبكم حقاً .

ارتشف (أدهم) آخر رشفة فى قندحه ، ثم أعاده إلى

العربة فى بساطة ، وهو يقول :

- حقاً !؟.. تبدو لى شديد الثقة هذه المرة .

أجابه (كيلرمان) فى حدة :

- وسترى أننى على حق فى ثقتى هذه .

هز (أدهم) كتفيه ، واستدار عائداً إلى مقعده ، وهو

يقول :

- سنرى .

وكان من المستحيل أن يضع (كيلرمان) مثل هذه

الفرصة النادرة ..

لقد أولاه (أدهم) ظهره ، دون أن يجزده من سلاحه ..
وسيدفع ثمن هذا الخطأ غالبا ..
وبسرعة ، استل (كيلرمان) مسدسه ، وصوبه إلى
(أدهم) ، و....
وأطلق النار ..

كان كرجل مخابرات محترف ، تلقى تدريبات لاحصر
لها ، تؤهله لمواجهة أصعب المواقف ، يدرك جيدا أنه من
المستحيل أن يخطئ إصابة هدفه ، من هذه المسافة
القريبة ، التي لا تتجاوز الأمتار الثلاثة ..
ولكن الأمر لم يكن يتوقف على مهاراته وخبراته
وحدها ..

بل كان يتوقف أيضا على طبيعة الهدف ..
وقدراته ..

فلى نفس اللحظة ، التي ضغط فيها (كيلرمان) زناد
مسدسه تقريبا ، وثب (أدهم) جانبا ، ودار على عقبيه ،
فتجاوزته الرصاصة ، واختترقت الجدار ، فهتف
(كيلرمان) ، وهو يصوب إليه مسدسه مرة أخرى :
- الثانية ستنسف منك .

ولكن (أدهم) وثب عير الأمتار الثلاثة ، التي تفصله
عن (كيلرمان) ، على نحو بالغ المرونة ، وأمسك معصم
هذا الأخير ، ليدفع فوهة مسدسه إلى أعلى ، قائلا في
سخريّة :

- هذا لو أطلقتها .

وقرن قوله بكلمة كالقنبلة ، أصاب بها فك (كيلرمان) ،
الذي تراجع في عنف ، وارطم بعربة الشاي ، وسقط معها
أرضا ..

وعندما حاول النهوض ، استقبلته ركلة قوية من قدم
(أدهم) في أنفه ، وهذا الأخير يقول ساخرا :
- إني أفضلك راقدا أيها الرغد .

ارتطم رأس (كيلرمان) بالأرض في عنف ، وفقد وعيه
على الفور ، فقال (أدهم) في هدوء :
- هذا هو المطلوب منك بالضبط .

ثم اتجه نحو لوحة أنيقة تزين الجدار ، وأزاحها قليلا ،
ثم التفت من خلفها جهازا صغيرا ، وهو يستطرد :
- كل المطلوب .

ودس الجهاز في جيبه ، ثم فتح باب الحجرة في هدوء ،
و....

« إلى أين يا سيد (أدهم) ؟ » ..
اصطدمت به العبارة ، التي انطلقت من بين شفطي
(شليتكو) ، الذي وقف يعلق الباب بجسده القوي ، و...
وجاء رد فعل (أدهم) سريعا كالمعتاد ..

لقد تحركت قبضته بسرعة البرق ، وهوت على ألف (شيلكو) بكلمة كالقنبلة ..

وتراجع الروسي في عنف ، مع الكلمة وعامل المفاجأة ، وارتطم بالجدار المقابل في قوة ، ثم ارتد عنه ، لتستقبله كلمة أكثر قوة من (أدهم) ، في فكة مباشرة .. ولكن الروسي لم يسقط ..

فقط انطلقت من حنجرتة حشرة غاضبة ، ثم وثب إلى الخلف ، وانترع من حزامه مسدسًا أليًا كبيرًا ، أشبه بمدفع رشاش صغير ، وهو يهتف :

- فليكن .. أنت أردت هذا . وانطلقت من المسدس الألي ست رصاصات دفعة واحدة ..

وكلها تستهدف شخصًا بعينه .. (أدهم صبري) .

★ ★ ★



١٣٠

٩ - قتال ..

لم يكد (رونالد جير) يستعيد وعيه ، حتى انتفض جسده في عنف ، وخفق قلبه في هلع ، وهو يحدث في وجه (سيرجي كوريوف) ، الذي قال في برود :

- إذن فقد استعدت وعيك . لم يستعد (جير) وعيه فحسب ، في تلك اللحظة ، وإنما استعاد معه كل ما قرأه في ملف (كوريوف) ، وكل ما عرفه عنه ، منذ التحق بخدمة المخابرات الأمريكية ..

كان يعلم أنه صارم ، قاس ، لا قلب له ، ويمكنه سحق رأس أمه نفسها بلا رحمة ، لو أمره رؤسائه بهذا .. وبكل ثوتره ، وما يعتل في نفسه ، وما يعرفه عن خصمه ، قال (جير) في عصبية :

- لماذا فعلت هذا يا (كوريوف) ؟ هُرّ (كوريوف) ككفيه في برود ، مجيبًا :

- ضروريات العمل يا رجل .. أنت خير من أعلم هذا . قال (جير) في توتر :

١٣١

Eman

- ضروريات العمل قد تدفعك لمطاردتي، أو تعقبني،
أو تسجيل محادثاتي الهاتفية، ولكنها لا تسمح لك
باختطافي بهذا الأسلوب، الذي يناسب المجرمين، بأكثر
مما يناسب رجال مخابرات مثلنا، أو

قاطعه (سيرجي كوروبوف) في صرامة :

- قلت لك : إنها ضروريات العمل .

ابتلع (جير) باقى عبارته مع القليل من لعابه، فى
محاولة لتلطيب حلقه الجاف من فرط الانفعال، فى حين
تابع (كوروبوف) فى برود :

- أنتم أيها الرأسماليون، تتفقون الكثير والكثير على
أعمال التجسس، حتى أنهم يؤكدون فى (موسكو) أن
ميزانية جهازكم وحدها، تكفى للاتفاق على (روسيا)
كلها، وانتشالها من أزمتها الاقتصادية الطاحنة .. هذا
لأنكم تفرطون فى استخدام التكنولوجيا بالطبع، وفى
رشوة كل من لا يمكنكم توريطة للعمل معكم .. أما نحن،
فلا يمكننا مجاراتكم فى هذا، ونيس أماننا سوى أن نعتمد
على أنفسنا .

ولوح بيده، مستطرذا :

- لهذا، فلنا وسائلنا الخاصة للحصول على المعلومات
المطلوبة، وسترى بنفسك أنها أقل تكلفة بكثير .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (جير)، وجف حلقه،
حتى صار أشبه بصحراء جرداء، وهو يقول بصوت
متحشرج، ومحاولاته للتخلص من قيوده لا تتوقف :

- ما الذى ترمى إني بالضيظ يا (كوروبوف) ؟

التقط (كوروبوف) مبرذا صغيرا، وراح يقلم أظفاره فى
هدوء، قبل أن يسأله، دون أن يلتفت إليه :

- من يمتلك الأسطوانة ؟

ارتجف صوت (جير) مع جسده كله، وهو يقول :

- أية أسطوانة ؟

انعقد حاجبا (كوروبوف) فى غضب، ثم أشار بسبابته،
فبرزت (أنستازيا) من ركن خفى، وارتسمت على شفتيها
الجميلتين ابتسامة ساحرة، تطلع إليها (جير) فى توتر
شديد، فى حين قال (كوروبوف) بنفس البرود :

- أنا واثق من أنك لم تتلق بزميلتنا (أنستازيا) من
قبل، فهى من الجيل الجديد، الذى التحق بالعمل رسميا فى
العهد الجديد .. إنها فائتة كما ترى، ومن العسير أن يقاوم
أحد سحرها .

ثم رفع أحد حاجبيه، مستطرذا :

- ولكن هذه ليست موهبتها الوحيدة .

اتسعت ابتسامة (أنستازيا) ، وحملت شيئاً من الزهو ،
و (كوريوف) يتابع :

- إنها تمتلك موهبة أخرى ، تجعل الجميع يمنحونها كل
ما لديهم بسرعة مذهلة .

وأشار إلى (أنستازيا) ، فتقدمت مبتسمة نحو (جير) ،
ثم أخرجت من جيبيها إبرة طويلة ، والنقطة يده ، ثم
غرست إبرتها تحت إظفر سبائته اليسرى بحركة سريعة ..
وأطلق (جير) صرخة هائلة ، مع تلك الآلام المبرحة ،
التي تصاعدت من يده إلى رأسه ، وأدارت محه داخل
جمجمته في عنف ..

وتألفت عينا (أنستازيا) في جنل ، وكأنها تستمتع بتلك
الآلام ، في حين صب (كوريوف) لنفسه كأساً من الفودكا ،
وهو يقول في برود :

- أرجو أن يكون هذا قد أنعش ذاكرتك قليلاً .

هتف (جير) في ألم :

- ما تفعله حقير يا (كوريوف) .. حقير للغاية .

أشار (كوريوف) بسبائته ، قائلاً :

- لو أننا تبادلنا المواقع ، لما تركت لحظة في أن تفعل

بى ضعفه ، لتحصل على معلومة بسيطة .

ثم لَوَح بسبائته مرة أخرى ، فالتزعت (أنستازيا)
إبرتها ، وعادت تغرسها تحت إظفر الإبهام ..
ومرة أخرى ، أطلق (جير) صرخة هائلة ، وكاد يفقد
وعيه من شدة الألم ، فكرر (كوريوف) في هدوء :

- أين الأسطوانة ؟

لهث (جير) في ألم ، وهو يجيب :

- إننا لم نحصل عليها بعد .

هز (كوريوف) رأسه ، قائلاً في هدوء :

- أعلم هذا بالتأكيد ، فمثل هذه الأمور لا تتم بسرعة
كبيرة .. إنما أريد معرفة الشخص ، الذى تتفاوضون معه
بشأنها .

ثم مال نحوه ، مسطرداً في برود أكثر قساوة من الثلج
نفسه :

- من هو يا مستر (جير) ؟

انفجرت شفتا (جير) ، وبدا من الواضح أنه يهم يقول
شيء ما ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع ، وقال في توتر شديد :

- لا يمكننى أن أخبرك .. هذا يتعارض مع ..

قاطعته (أنستازيا) ، وهى تنتزع الإبرة من إبهامه فى
عنف ، فصرخ مرة أخرى من الألم ، وهتف :

- هذه الأساليب وحشية .. ستدفعون ثمنها غالياً .

ابتسم (كوربوف) فى سخرية، وأشار إلى
(أنستازيا)، قائلاً :

- دع هذا لوقته .

اتجهت (أنستازيا) نحو موقد صغير فى هدوء،
وأشعلته، ثم وضعت إبرتها الطويلة فوق ألمنة الذهب،
وحقن فيها (جير) فى ارتياح، و (كوربوف) يرتشف
كأسه، ويقول فى برود :

- فى هذه المرة ستكون الألام بشعة حقاً، فالإبرة
ستكون ملتهبة، وهى تنغرس تحت الأظفار .

صرخ (جير) :

- لا .. لن يمكنكم هذا .. لن يمكنكم فعله .

التقطت (أنستازيا) إبرتها التى انتهت إلى درجة
الاحمرار، ثم التقطت يده، المقيئة إلى المقعد فى إحكام،
وهى تقول :

- جربنى .

وكان الألم رهيباً بحق ..

والنهار (جير) تماماً، وهو يصرخ :

- سأخبرك يا (كوربوف) .. سأخبرك كل ما لدى .

ارتشف (كوربوف) رشقة أخرى من كأسه، قائلاً :

- افعل يا رجل، فأنا منصت جيد .

لهث (جير) فى مرارة، وهو يقول :

- إنه رجل يُدعى (ستيفان)، يقيم فى الفيلا رقم
(١٠٣)، عند أطراف المدينة .. إنها فيلا حصينة للغاية،
أشبه بالقلعة .

سأله (كوربوف) :

- أهو زعيم تلك المنظمة الخاصة ؟

أجاب (جير) :

- لست أدري .. أقسم لك أن هذا كل ما لدينا .. لقد
حاولنا البحث عن ملف للرجل، إلا أننا لم نعثر على شيء ..
بل لم نحذد بعد جنسيته، أو هويته الحقيقية .

صمت (كوربوف) قليلاً، ثم سأله :

- وكم طلب ثمناً لها ؟

حاول (جير) أن يزرد شيئاً من لعبه، إلا أنه لم يجد
قطرة واحدة منه، وهو يجيب فى صوت متحشرج مبحوح :
- مليار دولار .

شهقت (أنستازيا) فى قوة، فى حين انعقد حاجبا
(كوربوف) فى شدة، وهو يقول :

- لقد أقسدتكم العالم برأسماليكم العفنة .

ثم أشار إلى (أنستازيا)، فهتف (جير) :

- لا .. ليس ثانية .. لقد أخبرتك كل ما لدينا .. أقسم لك .

أجابته (كوربوف) فى برود :
- أعلم هذا .

تألفت عينا (أنستازيا) ، وأمسكت شعر (جير) فى
قوة ، ودفعت رأسه إلى أسفل ، وهو يهتف :
- لا .. لا أريد أية آلام أخرى .

أجابته فى بطء :
- هذه هى الأخيرة .

ثم غرست إبرتها فى نقطة محددة من مؤخرة عنقه ،
فأطلق شهقة مكتومة ، وجحظت عيناه لحظة ، ثم تراخى
جسمه كله دفعة واحدة ..

لقد كانت صادقة تماما فى عبارتها ..
إنها آخر آلامه ..
فى هذه الدنيا على الأقل ..

★ ★ ★

عندما تقدم الرجال الثلاثة نحو (جيهان) ، التى تجلس
هادئة فى سيارتها الجديدة ، منهمة فى مطالعة واحدة من
مجلات الأزياء الحديثة ، لم يكن يراودهم أدنى شك ، فى أن
العملية ستتم فى سرعة ونجاح ، دون أدنى مشكلة ..
وحتى عندما ألقت (جيهان) المجلة ، وتحركت فى
عنف ، لم يزايلهم ذلك الشعور بالثقة ؛ إذ بدا لهم أن

رصاصه واحدة ، تنطلق من المسدس الملتصق بصدغها ،
ستكفى لإنهاء الموقف كله فى لحظة واحدة .

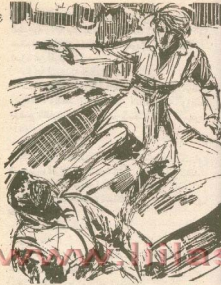
لذا فقد كان وقع المفاجأة عليهم عنيقا للغاية ..
لقد اندفعت (جيهان) إلى الأمام فى سرعة ، وهى تدفع يد
الرجل إلى الخلف ، فانطلقت الرصاصه خلف رأسها ،
ودوت فى أنفها بقوة ، فهتفت :
- أيها الوغد .

ثم دفعت باب السيارة بكل قوتها ، فارتطم بالرجل ،
ودفعه إلى الخلف فى عنف ، ليرتطم بزميله ، ويسقط
الثلاثة أرضا ، و (مانى) يهتف :
- يا للعينه !

قفزت (جيهان) خارج السيارة ، وركلته فى أنفه ،
هاتقة :

- من للعينه أيها الحقير ؟
ثم تراجعت قدما لتتقض مرة أخرى ، وتحطم اثنتين
من أسنانه ، وهى تستطرد :
- أهكذا تخاطب أنسة محترمة ؟

فقد (مانى) وعيه على الفور ، فى حين هب الرجلان
الآخران واقفين ، ولوح أحدهما بمسدسه فى وجهها ،
هاتفا :



وثبت (جيهان) في براعة ، وأطاحت بمسدسه بركلة قوية ..

.. ستدفعين حياتك ثمنًا لهذا .

وثبت (جيهان) في براعة ، وأطاحت بمسدسه بركلة قوية ، ثم دارت حول نفسها في رشاقة ، وحطمت فكة بركلة ثانية ، وقبل أن يسقط فاقد الوعي ، كانت تثب فوق مقدمة سيارتها ، متفاديه رصاصة الثالث ، ثم تعتمد عليها بكفيها ، وتدور حولها بحركة مذهشة ، لتركل مسدس الثالث ، قبل أن تنفلز عاليًا ، وتضربه بقنميتها في وجهه ..

ومع سقوط الرجل الثالث ، هرع مسئول موقف السيارات إليها ، وهو يهتف :

.. ماذا يحدث يا سيدتى ؟

نفضت كفها في هدوء ، وهي تهز كتفها ، قائلة :

.. لقد غازلوني بوقاحة .

ففر الرجل فاه في ذهول ، وهو يدير بصره في الرجال

الثلاثة المفاقدى الوعي ، في حين قالت هي في هدوء :

.. أعتقد أنهم يحتاجون إلى إسعاف عاجل .

ثم عادت إلى السيارة ، وراحت تطالع مجلة الأزياء

الحديثة في هدوء ..

وكان شيليا لم يكن ..

★ ★ ★

من يراجع ملف (أدهم صبرى) ، فى المخابرات العامة المصرية ، لابد وأن ينتبه إلى أن الفضل فى تجاوزه ، من معظم المخاطر التى يتعرض لها ، يعود إلى سعة خاصة به ، تميزه عن أقرانه ..

سرعة استجابته المدهشة ..
فـ (أدهم) يمتلك موهبة خاصة ، تتيح له تحديد موقفه ، ودراسته ، واتخاذ الإجراء اللازم للتعامل معه ، ووضع موضع التنفيذ ، قبل أن يبدأ خصمه حتى فى إدراك ماحوله ..

وهذا ما حدث بالفعل ..
لقد شاهد (شليكو) يلتزم مسدسه ، وتعزف نوع المسدس وقدراته من النظرة الأولى ، فوثب إلى الخلف ، وركل باب الجناح فى قوة ، وهو يلقى جسده أرضاً ..
وانطلقت رصاصات (شليكو) فى اللحظة نفسها تقريباً ..

وأصابت الباب المغلق ..
واخترقته ..

كان من الواضح أنها رصاصات قوية بالفعل ، فقد عبرت الباب السميك وتجاوزته إلى الداخل ، فوق رأس (أدهم) مباشرة ، و (شليكو) يصرخ :
.. لا .. لن نفلت .

انقضّ على الباب ، وضربه بكتفه فى قوة ، فافتتح الباب فى عنف ، ووجد جسده يندفع إلى الأمام ، ليستقبله (أدهم) بكلمة كالصاعقة فى أنفه ، وهو يقول :

.. ألا تسقط أبداً يا رجل ؟

غامت الدنيا أمام عيني (شليكو) ، وصرخ فى غضب :
وهو يدير فوهة مسدسه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب بركله فى قوة ، مستطرداً :

.. فليسقط مسدسك إذن .

ترك (شليكو) مسدسه يسقط ، وانقضّ على (أدهم) ، وأحاط وسطه بذراعيه القويتين ، ودفعه أمله فى قوة ، وهو يطلق صرخات وحشية عجيبة ، حتى ارتطم ظهر (أدهم) بالجدار فى عنف ..

وعلى الرغم من الآلام الحادة ، التى انتشرت من ظهره إلى جسده كله ، لقم (أدهم) الروسى بين عينيه ، هاتفاً :
.. اسقط أيها الوغد .. اسقط .

ولكن (شليكو) أطلق صرخة وحشية أخرى ، وضرب ظهر (أدهم) بالجدار ثانية ..
وتضاعفت الآلام هذه المرة ..

وتضاعف معها غضب (أدهم) ..
لقد خيل إليه أنه يضرب جداراً من الصخر الصلب ، لا يتأثر قليلاً أو كثيراً بقبضته ، على الرغم من قوتها ..

جدارًا بشريًا ، لم يعهد مثله قط ، خلال حياته العملية
الحافلة ..

إنه لا يدري حتى كيف صنع الروس هذا ؟! ..
كيف طوّروا قوة الاحتمال البشرية ، حتى بلغت هذا
الحد ؟! ..

ولكنه ، وعلى الرغم من دهشته ، اعتبر الأمر بمثابة
تحدي له ..

ويكف ما يمتلك من قوة ، ضمّ قبضتيه ، وهوى بهما
على رأس الروسي ، الذي أطلق صوتًا أشبه بخوار ثور
يحتضر ، قبل أن يصرخ في غضب ، ويضرب ظهر (أدهم)
للمرة الثالثة بالجدار ..

وفي هذه المرة ، دفع (أدهم) الجدار بكل قوته ، وصاح :
- حتى النيران تنهار في النهاية .

وألقي جسده أرضًا ، وهو يتشبّث بخصعه في قوة ، ولم
يكف ظهره بلمس الأرض ، حتى دفع ركبتيه في معدة
(شلينكو) ، وألقاه خلف ظهره في قوة ، ليرتطم بالجدار
في عنف ..

وسقط (شلينكو) على رأسه في قوة ، في حين وثب
(أدهم) واقفًا على قدميه ، في مرونة مدهشة ، ودار على
عقبه ليركل غريمه في أنفه بكل قوته ، ثم النقط مقعدًا ،
وهوى به على مؤخرة عنقه ، بكل ما يملك من قوة ..

وارتطم وجه الروسي بالأرض ، وخار كالثور مرة
أخرى ، ولكنه ظلّ راقداً على وجهه هذه المرة ، وأنفاسه
تترنّد في صعوبة ..

ونفض (أدهم) يده في شدة ..

لقد بذل جهدًا خرافيًا هذه المرة ، ليهزم خصمًا واحدًا ..
ولكنه انتصر ..

أخيرًا انتصر ..

وفي هدوء ، عدّل وضع رباط عنقه ومعطفه ، ثم غادر
المكان في بساطة ، واستقبله رجال الأمن ، وهم يهرعون
إلى المكان ، هاتلين :

- ماذا حدث هنا ؟

أجابهم (أدهم) في هدوء ، يوحى بأنه لا شأن له بالأمر :
- يبدو أنها عملية تصفيه حساب .. الاثنان تشاجرا في

الداخل ، ويبدو أن أيهما لم ينتصر هذه المرة .

اندفع رجال الأمن إلى الحجرة ، ولأنه لم يكن بينهم أحد
رجال أمن الدورية الليلية ، فلم يعترض أيهم طريقه ، وهو
يستقل المصعد ، ويغادر المكان كله في هدوء وبساطة ..

ومن حسن حظ (أدهم) أنهم مجرد رجال أمن فتدق ،
وليسوا أفراد شرطة نظامية ، يدركون قواعد وأساليب
التعامل مع مثل هذه الأمور ..

وعلى الرغم من الاضطراب الذى ساد الفندق، غادر
(أدهم) المكان فى هدوء، واتجه إلى موقف السيارات،
حيث ينتظر (جيهان)، ولكنه لم يكد يقترب منه، حتى لمح
سيارة الإسعاف التى تقاربه، وسيارة الشرطة التى تقف
داخله، فأسرع الخطا إلى المكان، والقلق يتسلل إلى
نفسه، إلا أن هذا القلق لم يلبث أن تلاشى، عندما وقع
بصره على (جيهان)، التى تقف هادئة، تتحدث مع أحد
رجال الشرطة، فاتجه نحوها، وسمعها تقول :
- بالطبع أنهمهم بالتهجم على .. إلهم وحوش أيها
الضابط .

رفع الضابط حاجبيه، وهز كتفيه، وهو يبتسم فى
ارتباك، مغمفًا :

- وحوش ؟! .. يدشنى هذا القول يا سيدتى، بعدما
رأيت هؤلاء المساكين .. أقصد المجرمين .
أشارت (جيهان) بسبابتها، قائلة فى صرامة :
- المهم أن تتخذ الإجراءات القانونية ضدهم .
تنهد الضابط، قائلاً :

- بالطبع يا سيدتى .. بالطبع .. لقد أريد الشهود
أقربك، وأنكثوا أن للثلاثة هاجموك أولاً، وأن كل ما فعلته
كان نوعاً من الدفاع عن النفس .

وابتسم مستطردًا :

- لسرع حظهم .

انتظر (أدهم)، حتى انصرف رجال الشرطة، ثم اتجه
إلى السيارة، واحتل مقعد القيادة، وهو يسأل :
- ماذا حدث بالضبط ؟

هزت (جيهان) كتفها بلا مبالاة، وهى تجلس إلى
جواره، مجيبة :

- بعض الأغبياء حاولوا مهاجمتى، فلقنتهم درسًا
يستحقونه .

رمقها بنظرة جانبية، قبل أن ينطلق بالسيارة، قائلاً :
- إلى أى معسكر ينتمون ؟
أجابته فى هدوء :

- إلى تلك المنظمة الخاصة على الأرجح، فقد كان
بينهم فلك الحارس، الذى واجهته عند الفيلا أمس .

ثم التفت إليه، مستطردة فى حماس :
- ولهذا قاتلتهم فى عنف، فقد أردت أن أضمن وجود
أحدهم على الأقل فى المستشفى، حتى يمكننا استجوابه،
واستخلاص ما لديه من معلومات .

كانت براعتها تدهشه إلى حد ما، إلا أنه لم يعلق على
الموقف سوى بعبارة واحدة :

- من الواضح أنك تختلفين تمامًا عن (منى) .

لم يدرك لماذا اختار هذه العبارة بالتحديد ، ولكن جسدها
كله ارتجف لسماعها ، وانكمشت في مقعدها ، وهي تقول
في خفوت :

- في أى اتجاه ؟ .. الأفضل أم الأسوأ ؟

كاد يصرخ في وجهها :

- لا توجد من هي أفضل من (منى) .

ولكنه أثر الصمت ..

لن يجيب تساؤلها ..

لن يناقش معها هذا الأمر قط ..

ليس من حق مخلوق واحد أن يناقش مشاعره
وعواطفه ..

وخاصة تلك التي تمس (منى) ..

تتهجد في عمق ، دون أن يلتفت إليها ، وسبح عقله في
لجة من الأفكار والمشاعر ..

ومن بعيد ، لمح رجل حاد القمصات ، يجلس داخل
سيارة كبيرة ، فانتقد حاجباه في شدة ، وهتف :

- إنه هو .

سأله جاره في السيارة في قلق :

- من هذا يا جنرال ؟

أجابه الجنرال (تورنسول) ، قائد قطاع العمليات
الخاصة ، في المخابرات الأمريكية :

- ذلك المصري ، الذي كثيرًا ما أفسد عملياتنا .. (أدهم
صبرى) .

انتفض جسد جاره في عنف ، وهو يهتف :

- (أدهم صبرى) .

هتف الجنرال (تورنسول) :

- أسرع يا رجل .. انطلق خلفه .. لا تدعه يهرب عن
نظرك ، وحذار أن يشعر بك .

قال جاره متوترًا :

- سيؤدي الجنرال .. سنضيق وقتًا ثمينا .. لقد أتينا من
(أمريكا) خصيصًا لنعد له

قاطعته الجنرال في صرامة :

- صه يا رجل .. من الواضح أنك مستجد في عملنا
هذا .. أى وقت تمين هذا الذى نضيقه ؟! .. إن ظهور هذا

الرجل في الساحة ، يعنى أن فرصة نجاح أى عمل لنا قد
انخفضت بنسبة سبعين في المائة على الأقل .

وعاد يلقي نظرة شديدة التوتر على سيارة (أدهم) ،
قبل أن يضيف :

١٠ - الجنرال إبليس ..

عذلت ممرضة قسم الطوارئ منظارها الطبي فوق عينيها ، وهي تتطلع إلى (أدهم) ملياً ، قبل أن تقول في حزم :

- أسفه يا سيدي .. النظم هنا تمنع زيارة المصابين في قسم الطوارئ ، إلا بعد اتمام إسعافهم ، ونقلهم إلى حجراتهم .

رمقها (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- هذا ينطبق على الزيارات العادية .

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- وما الذي يجعل زيارتك غير عادية ؟

أجابها (أدهم) في صرامة :

- لأنها ليست زيارة على الإطلاق .. إنني أرغب في

مقابلة موكلتي .

قالت في دهشة قلقة :

- موكلك !؟

رفع حقيبته الصغيرة ، وهو يقول :

- صدقني يا رجل .. هذا الوقت الذي تنفقه ، هو أكثر الأوقات أهمية ، في العملية كلها ، فما دمت تنوي القيام بعملية كبرى هنا ، فابدأ بأهم خطوة .

وأشار إلى سيارة (أدهم) ، مستطرداً في صرامة :

- اقتل هذا الرجل .

وكان يعنى ما يقول ..

بكل حرف فيه .

★ ★ ★



- نعم .. نسيت أن أقدم لك نفسي .. (ألبيرت صموئيل)
المحامي .. لقد اتصل بي أحد رجالنا من هنا ، وأخبرني
أنكم تعاملون المصابين الثلاثة بشيء من الإهمال ، وطالبني
رؤسائي بمقاضاتكم من أجل هذا .

ثم مال نحوها ، مستطردًا في صرامة :
- وأنت تعلمين أن التعويض في هذه الحالة ؛ يحمل
حتنا ستة أصفار إلى يمينه .

ازدريت لعابها في صعوبة ، وهي تقول :
- ولكننا لا نعامل أي مصاب بإهمال !

نوح بسمانية ، قائلاً :
- آه .. هذا قولك ، ولكننا لم نشاهد هذا على الطبيعة ، كما
يقتضى القانون ، ومنعك لي من رؤية الموكلين يوحى بـ ...
قاطعته مرتبكة :

- فليكن .. لا داعي لكل هذه المحاضرة .
وزفرت متوترة ، قبل أن تضيف :
- سأسمح لك بمقابلتهم لخمس دقائق فحسب .. أليك
هذا ؟

ابتسم مجيبًا :
- بالتأكيد .

- قادتته متوترة إلى حجرة الطوارئ ، وقالت في عصبية ،
وهي تفتح له الباب :

- خمس دقائق وليس أكثر .
أوما برأسه ، قائلاً :
- إنها كل ما أحتاج إليه .

دلف إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم أدار عينيه في
الرجال الثلاثة ، الذين تم تضميد جراحهم ، واستلقوا
متهاكئين فوق أسرّتهم ، ثم التفت لأحدهم ، واتجه نحوه ،
وهو يقول في هدوء :

- كيف حالك يا رجل ؟

أجاب الرجل في نهائك :

- أفضل من ذي قبل ، ولكننا سنقاضي هذه المتوحشة
حتنا .. إنها ..

بتر عبارته بفتة ، واتسعت عيناه في ارتجاج ، عندما
وقع بصره على فومة مسنس (أدهم) ، المصنوعة إلى
رأسه مباشرة ، وهتف :

- يا للشيطان ! .. من

قاطعته (أدهم) في صرامة مخيفة ، وبصوت خافت
لا يسمعه سواهما :

- إياك أن تنهس بينت شفة .. أعتقد أنك مخترف
بما يكفي لتعلم أن هذا المسدس مزود بكاتم للصوت ، وأن
كل ما أحتاجه هو ضفطة بسيطة على الزناد ، لأنفس
مك ، دون أن يشعر بنا أحد .

تمتم الرجل في رعب :

- نعم أعلم هذا .

سأله (أدهم) :

- ما إجراءات الأمن المتبعة في القللا .

ارتجف الرجل ، وهو يهمس مذعوراً :

- لا يمكنني أن أخبرك .. سيقتلونني لو فعلت .

أجابه (أدهم) في حزم :

- ومن سيدري أنك فعلت ؟ .. هذا الحديث يدور بيننا

وحدثنا يا رجل .. هيا .. أسرع بإجابة أسئلتني ، قبل أن يثير

حديثنا الاهتمام .

أزرد الرجل لعابه في صعوبة ، وهو يقول :

- القللا أشبه بالقلعة ، ونظام الأمن بها موضوع بدقة ،

تعجز معها ذبابة عن اختراقه ، فالآت التصوير منتشرة في

كل مكان ، والأسوار مكهربة ، والحراس يجوبون الحديقة

طوال الوقت ، دون لحظة واحدة من التوقف ، في ثلاث

دوريات متصلة ، وهناك طاقم إضافي من الحراس ، ينتشر

حول المكان ، بالإضافة إلى رادار حديث على سطح القللا ،
يكشف أية محاولة للتسلل جواً ، وتبلغ دقته حد كشف
مظلي واحد ، يهبط منفرداً على المكان .

صمت (أدهم) لحظة مفكراً ، قبل أن يسأله :

- هل يوجد مولد كهربى إضافي في القللا ؟

أوماً الرجل برأسه إيجاباً ، وهو يتلفت حوله متوتراً ،

وهمس :

- نعم .. إنه مولد قوى ومتطور ، ويبدأ عمله بعد ثلاث

ثوان فحسب من انقطاع التيار ، وهذا بخلاف جهاز الوصل

الكهربى ، المتصل بأجهزة الكمبيوتر ، والذي يعمل فور

انقطاع التيار ، حتى تستمر الأجهزة في عملها .

صمت (أدهم) لحظات أخرى ، ثم سأل في صرامة :

- وماذا عن (ستيفان) ؟ .. أهو زعيم المنظمة ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، وهو يقول :

- هذا ما يبدو ، ولكنني سمعتهم يرددون أنه ليس الزعيم

الحقيقى ، فقد سمعه بعضهم يتلقى الأوامر عبر الهاتف .

سأله (أدهم) في اهتمام :

ومن أين تأتيه هذه الأوامر ؟

هز الرجل رأسه نفياً ، وهو يقول :

- لا أحد يدري .. لقد أخبرتك كل ما أعرفه ، وكل ...

كان الرجل يتحدث ، وعقل (أدهم) يعمل في سرعة ..
فما حصل عليه من معلومات ، كان يشير إلى أن المهمة
أكثر صعوبة مما كان يتوقع ..
أكثر بكثير ..

★ ★ ★

« بل أعتقد أنها مستحيلة .. »

نظمت (جيهان) هذه العبارة في توتر ، وهي تختبر
مسدسها ، في المنزل الآمن ، في قلب (جنيف) ، بعد أن
استمعت إلى ما حصل عليه (أدهم) ، الذي هز رأسه ،
وعقد حاجبيه مفكراً في عمق ، وهو يقول :

- لا يوجد مستحيل في عالمنا هذا .. ربما كان نظام
الآمن في الفيلاد شديداً التعقيد ، ولكن القاعدة التي تؤمن بها
دائماً ، أنه لا يوجد جهاز آمن خال من الثغرات ، مهما
بلغت دقته .

أعادت مسدسها الصغير إلى حزامها ، وهي تقول :

- وما الثغرة التي تجدها هنا ؟

صمت لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

- ربما كانت الثغرة أكبر مما يمكنك رؤيته يا زميلتي
العزيزة .

خفق قلبها هذه المرة أيضاً ، كما يفعل كلما خاطبها
(أدهم) بهذا اللقب ، وجف حلقها ، وهي تتطلع إليه في
صمت ، ثم لم تلبث أن تتحنت ، وقالت محاولة لفض تلك
المشاعر عن قلبها :

- إنك لم تشرح لي بعد ، لماذا تعمّدت استفزاز
(كيلرمان) على هذا النحو الفج ؟
ايتم (أدهم) ، وهو يجيب :

- سببان هامين دفعاني إلى هذا ، أولهما أن أثير غضبه
وسخطه ، وقلقه على نجاح العملية ، مما يجعله يتحرك في
سرعة وتوتر ، ومع السرعة والتوتر ، تتزايد الأخطاء
حتماً ، وتتضاعف فرصتنا في الفوز ، مع كثرة أخطاء
الخصم .

اعتذلت ، تسأله في اهتمام :

- والسبب الثاني ؟

التقط نفساً عميقاً ، وهو يخرج جهازاً صغيراً من جيبه ،
مجبياً :

- أن أستعيد هذا .

حدّقت في الجهاز ، قائلة :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابها بسرعة :

- أحدث جهاز تصنت مباشر .. إلى التسجيل ، يعمل فور وجود أصوات بشرية ، ويتوقف مع توقفها ، كما أن له حساسية النقاط كبيرة ، تتيح له تسجيل أضعف الأصوات . هفتت في سعادة طفولية :

- هل وضعته في حجرة (كيلرمان) ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وضغط زر الاستعادة في الجهاز ، وهو يقول :

- لقد وضعنا هاتفه بالفعل تحت المراقبة ، ولكننا كنا نطمأن أنه لن يستخدم الهاتف في الاتصالات الهامة ، لذا فقد وضعت جهاز التصنت هذا في حجرته ، لننقل كل اتصالاته المرية .

بدأ الجهاز عمله ، وراح يبت حديثي (جير) مع (كيلرمان) ، اللذين تنا عير جهاز الاتصال الخاص ، وثناء زيارة الأول للآخر ..

واستمع (أدهم) و (جيهان) إلى الحديثين في اهتمام بالغ ، قبل أن تهتف (جيهان) :

- مليار دولار ؟! .. من الواضح أن منظمة (ستيفان) هذه لا تتميز أبداً بالقناعة . أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

- ليس هذا أخطر ما في الأمر يا زميلتي العزيزة ، ففكر رأبي أن فكرة ذلك الهجوم الانتحاري على الفيلة هي الأكثر خطورة .

وافهته بإماعة من رأسها ، قائلة :

- بالتأكيد ، فهي أعنف خطوة اتخذتها المخابرات الأمريكية هذه المرة . ثم سألته في اهتمام :

- ولكن هل تعتقد أنها خطوة ناجحة ؟

التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يجيب :

- ستكون خطوة مباحنة بالتأكيد ، ومع عامل المفاجأة ، أعتقد أنه من الممكن أن ينجح الأمريكيون في اقتحام الفيلة ، ولو فعلوا ، فربما حصلوا على تلك الأسطوانة المدمجة بالفعل ، أو دفعوا (ستيفان) لتدميرها ، خشية وقوعها في أيديهم ، وفي الحالتين سيعنى هذا أن عملياتنا قد فشلت .

هزت كتفها ، قائلة :

- ربما فشل الاقتحام .

أجاب في حسم :

- في هذه الحالة سينسب الهجوم للروس ؛ لأن الأمريكيين سيحرصون على أن يبدو كذلك ، وسيدفع هذا

لَوْح (كيلرمان) بكفه فى غضب، هاتفاً :

- لا شأن لهذا بى .

أشار (تورنسول) إلى القوضى الشديدة فى المكان،
قائلاً فى حدة :

- ما أراه أمامى يؤكد العكس تماماً .

صاح (كيلرمان) :

- قلت لك : إننى سأقضى على (أدهم صبرى) هذا
تماماً، بعد أن نلتهى من مهمتنا .

قال (تورنسول) فى صرامة :

- هذا هو الخطأ بعينه .

ثم عقد كفيه خلف ظهره، وباعد ما بين قدميه، فى
وقفة عسكرية صارمة، وهو يكمل :

- العملية لابد من أن تبدأ بسحق (أدهم صبرى) هذا .

قال (كيلرمان) فى عصبية :

- فليكن .. دعنا نترك مهمتنا الأساسية، ونضيع

الوقت فى البحث عن رجل المخابرات المصرى، و

قاطعه (تورنسول) فى صرامة :

- أنا أعرف أين هو .

حدق (كيلرمان) فى وجهه بدهشة، هاتفاً :

- تعرف !؟

أوماً (تورنسول) برأسه إيجاباً فى صرامة، قبل أن
يقول :

- نعم .. أعرف أين المقر الأمن، الذى يقيم فيه، ولقد
تركت هناك لثلاثين من رجالى العشرة لمراقبته، تمهيداً
لشن هجوم شامل عليه، وسحقه سحقاً مع زميلته
الحسنة .

بدا التوتر الشديد على وجه (كيلرمان)، وأشعل
سيجارته فى عصبية، وهو يقول :

- هل تعتقد أن شن هجوم شامل فى منطقة سكنية، بعد
إجراء حكيم ؟

ابتسم (تورنسول) فى سخرية، وهو يقول :

- ومن ذكر المناطق السكنية !؟

سأله (كيلرمان)، وهو ينفث دخان سيجارته فى
عصبية :

- أين ستشن هجومك الشامل إذن ؟

اتسعت ابتسامة (تورنسول)، وهو يجيب :

- هنا تكمن خيرتى الحقيقية يا رجل .. نحن سنختار
ساحة المعركة بأنفسنا، وسنحرص على أن تناسبنا
تماماً، وعلى ألا تناسب خصمنا قط .. فقط اترك لى الأمر
كله، وأبدأ فى حفر قبر رجل المخابرات المصرى .

قالتا ، وابتناسمته تحمل الكثير من الثقة ..
ومن الحزم ..

★ ★ ★

اتعقد حاجبا (ستيفان) في قوة ، وهو يطالع ذلك
الوجه ، الذي نقلته إليه شاشات الرصد ، التي تنقل كل
ما يدور ، في كل شهر من الليلا وحديثها ، ثم سأل
مساعدته في حذر :

- ما الاسم الذي قلت أنه ذكره ؟
أجابته مساعدته في حزم :

- (كوريوف) يا مستر (ستيفان) .. (سيرجى
كوريوف) ، من جهاز الأمن القومي الروس .
التنطق (ستيفان) نفسا عميقا ، وهو يتطلع إلى صورة
(كوريوف) على الشاشة ، مغمفنا :

- من جهاز الأمن القومي الروس !! .. يعلنها هكذا بكل
وضوح .. عجبا !! .. كيف يمكن هذا ؟!

صمت لحظات طويلة ، وهو يقلب الأمر في رأسه على
كل الوجوه ، ثم رفع عينيه إلى مساعدته ، قائلا :

- فليكن .. اسمحوا له بالخطول ، بعد تفتيشه جيدا ،
وبعد مروره عبر بوابة كشف الأسلحة ، وأمام شاشة
الأشعة السينية .. أريده نظيفا تماما .. هل تظلم ؟

أجابته المساعد في حزم :

- كما تأمر يا مستر (ستيفان) .

طالع (ستيفان) وجه (كوريوف) مرة أخرى ، ثم التفت
إلى جهاز الكمبيوتر ، وضغط أزراره بسرعة ، ليضع فيه
كل المعلومات ، فظهرت على شاشاته صورة مزدوجة
لـ (سيرجى كوريوف) ، من وجهه وجانبه ، مع معلومات
تقول :

- (سيرجى كوريوف) ، الشهير بالكوريوف ، من الفرقة
الخاصة بجهاز (ك.ج.ب.) المخابراتي سابقا ،
والمخابرات الروسية حاليًا .. في الخامسة والأربعين من
عمره ، بالغ الخطورة ، تلقى تدريبات خاصة للغاية ..
لا يعرف الرحمة .. مصرح له بالقتل .

اتعقد حاجبا (ستيفان) مرة أخرى ، وهو يتراجع في
مقعده ، مغمفنا :

- إن فهذا صحيح . المخابرات الروسية قررت
القتحام الموقف صراحة .. عجبا !! .. ليس هذا أسلوبهم في
المعتاد .

راح يدير الأمر في رأسه على كل الوجوه ، حتى وصل
(كوريوف) إلى مكتبه ، فنهض يستقبله في هدوء ، وهو
يقول :

.. مرحبًا بك يا مستر (كوربوف) .. كم يدهشني أن
تشرفني بزيارتك في مقرى المتواضع ، و

قاطععه (كوربوف) في برود :

.. أتيت أحمل إليك عرضًا محدودًا يا مستر (ستيفان) .

رفع (ستيفان) حاجبيه ، وهو يقول :

.. رائع .. لو أنه بشأن السلعة التى أتوقعها ، فأخبر ثمن
معروف لها هو مليار دولار .

ابتسم (كوربوف) فى سخرية ، وقال :

.. لمست أعتقد أننا نستطيع دفع نصف هذا المبلغ .

هز (ستيفان) كتفيه ، قائلاً :

.. فى هذه الحالة يؤسفنى أن ..

قاطععه (كوربوف) مرة أخرى فى صرامة :

.. ولكننى ما زلت أحمل لك عرضًا محدودًا .

ثم مال نحوه ، مستطرًا :

.. ولست أظنك تستطيع رفضه .

اتعقد حاجبا (ستيفان) فى توتر ، وهو يقول :

.. لا أستطيع رفضه ..! .. أى نوع من العروض هذا ؟

أجاب (كوربوف) :

.. النوع البسيط المباشر يا رجل .. نحن لا نستطيع

منافسة الأمريكيين اقتصاديًا ، ولكن لدينا أماليًا أخرى ،

أكثر فاعلية وبساطة .. إننا نريد الأسطوانة مقابل ..

وبتر عبارته ، ليميل نحوه كثيرًا ، ويضيف :

.. حياتك .

حذق (ستيفان) فى وجهه لحظة فى توتر بالغ ، ثم

انفجر فجأة ضاحكًا ، وهو يقول :

.. وكيف يمكنكم تهديد حياتى يا مستر (كوربوف) ؟

أجاب (كوربوف) فى برود :

.. إنه ليس بالأمر العسير .. قليلة واحدة ، من قنابلنا

الخاصة ، تكفى لتحويل الفيلادلفيا كلها إلى كومة من الرماد ،

فى ثوان معدودة .

قال (ستيفان) متوترًا :

.. ولكن هذا سيؤدى إلى نسف الأسطوانة أيضًا .

ابتسم (كوربوف) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

.. هل تعتقد أن هذا سيحزننا ؟

هز (ستيفان) من مقعده فى حدة ، قائلاً :

.. كلا .. لست أعتقد هذا ، ولكن فى نفس اللحظة ، التى

سيتم فيها نسف الأسطوانة ، سيرسل الكمبيوتر الأم نسخًا

منها ، إلى كل نظم المخابرات فى العالم .. هذا جزء من

البرنامج .

اتعقد حاجبا (كوربوف) فى شدة ، وهو يقول صارمًا :

.. إنك تجعل الأمر أكثر صعوبة يا مستر (ستيفان) .

قال (ستيفان) في حزم :

- هذه مهمتي يا مستر (كوريوف) .

ثم لَوَّح بكفه ، ولأت ملامحه بغثة ، مستطرذا :

- ولكن ..

اكتفى بقول الكلمة ، وهو يعود للجلوس خلف مكتبه في

مدوم ، وعيناه تبحران عن الالتغال ، الذي ستركه على

وجه (كوريوف) ، إلا أن هذا الأخير بدا له أشبه بممثال

من الصخر ، بلا أنفي انفعالات ، مما جعله يتابع بسرعة :

- ولكن هناك وسيلة حتمًا لإتمام الصفقة معكم .

لَوَّح (كوريوف) بيده ، قائلاً :

- لا يمكننا ، بأي حال من الأحوال ، دفع مبلغ كهذا .

قلب (ستيفان) كليته ، وهو يقول في خبث :

- ليس من الضروري أن نتقاضى المبلغ أموالاً سائلة .

قال (كوريوف) ساخرًا :

- كيف تتقاضونه إذن ؟ .. على هيئة بضائع ؟؟

أشار (ستيفان) بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .. ولكنها بضائع من نوع خاص .

ثم مال لحوه ، مستطرذا في حزم :

- سنعيد لكم الأسطوانة ، مقابل عدد من الصواريخ .

وضاقت عيناه مع إضافته :

- ذات الرعوس النووية .

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (سيرجي كوريوف) ..

مفاجأة ساحقة .



١١ - الفخ ..

فتحت (جيهان) باب المنزل الآمن في هدوء، ودلفت إليه في خفه، ووقفت بضع لحظات صامتة، تتطلع إلى (أدهم)، الذي جلس إلى جوار النافذة مغلق العينين، وقد شبك أصابع كفيه أمام وجهه، واستغرق في تفكير عميق، وخيل إليها لحظة أنه لم ينتبه إلى وصولها، حتى سمعته يقول في هدوء:

- لماذا لا تغلقين الباب؟

هتفت، وهي تغلق الباب خلفها:

- تصورت أنك لم تنتبه لوصولي!

ابتسم ابتسامة باهتة، وهو يقول:

- لو أنك أحد الأعداء، لكنت إذن جثة هامدة، لو لم أشعر بوصولك.

اتجهت نحوه، وسألته في شغف:

- وكيف عرفت أنه أنا؟

فتح عينيه، وهو يجيب في بساطة:

- خطواتك واضحة، ولقد توقفت أمام الباب، وأخرجت سلسلة مفاتيحك، وفتحت الباب في هدوء، ولكن مفصلاته تصدر صريرًا خافتًا، ثم إنك لم تعيدي سلسلة المفاتيح إلى جيبك بعد.

هتفت مبهورة:

- رياه! يبدو أنني أتعامل مع (شيرلوك

هولمز) (*). نفسه.

ابتسم في هدوء، ثم سألها في اهتمام:

- هل أرسلت الطرد؟

أجابته في حماس:

- بالبريد المباشر الفوري، وسيصل في غضون نصف

الساعة على الأكثر.

قال في ارتياح:

- عظيم .. بقي أمر واحد.

سألته في اهتمام:

- وما هو؟

(*) (شيرلوك هولمز): شخصية خيالية، من ابتكار (آرثر كونان دويل)، وهو كاتب بريطاني، حصل من أجل مؤلفاته على لقب (سير)، و (هولمز) بوليس سرى خاص، يجيد فن الاستنتاج لدرجة مذهلة، ويحقق به نجاحاته كلها.



جذبها معه إلى الأرض ، في نفس اللحظة التي اختزلت فيها رصاصة
رجاج النافذة ..

التفت إليها ، يسألها :
- عندما طاردك رجال المنظمة ، هل كانوا يرتدون ثيابنا
خاصة ؟

أجابته بسرعة :
- كلا .. كانت ثيابهم عادية .
بدا عليه الارتياح ، وهو يقول في اقتضاب :
- عظيم .

ثم نهض من مقعده ، مستطردا :
- في هذه الحالة ، يمكننا أن ..
وبتر عبارته بفتة ، وهو يحثي عبر النافذة ، قبل أن
يقفز إلى الخلف بفتة ، هاتفا :
- احترسي .

جذبها معه إلى الأرض ، في نفس اللحظة التي اختزلت
فيها رصاصة زجاج النافذة ، وهشمته بضجيج عنيف ،
فنهفت (جيهان) :

- رباہ !.. لقد توصلوا إلينا .
صاح بها ، وهو ينهض في سرعة :
- اتبعيني .

قالها ، وانطلق يحدو خارج المنزل ، فأنطلقت خلفه
بلا تردد ، وعندما بلغا مدخل البناية ، كان الرجل الذي أطلق

التار على (أدم) يشب داخل سيارة كبيرة، انطلقت به
مبتعدة، فوشب (أدم) داخل سيارة (جيهان) بدوره،
ولحقت هي به، هاتلة :

- هل سنطلق خلفه ؟

أجابها، وهو ينطلق خلف سيارة القاتل بالفعل :

- حتما .. إننا لا نعلم إلى أي فريق ينتمي، ومن
الضروري أن نعرف أيهم توصل إلينا، فهذا يضع النقاط
على الكثير من الحروف .

سألته في اهتمام :

- وما التارق في أي فريق كشفت أمرا ؟

قال وهو ينحرف خلف سيارة القاتل، التي تخترق
شوارع المدينة في سرعة :

- فارق ضخم يا زميلتي العزيزة، فلو أن الروس هم
الذين كشفوا أمرنا، فسيغني هذا أن الخطر بالغ، إذ إن
صديقنا (كوروبوف) يعتبرني الخطر الأكبر في طريقه، ثم
إنه لا يلتزم سوى بقاعدة واحدة .. القتل أولاً، ثم مل عما
يحدث فيما بعد .. أما لو كانوا الأمريكيين، فهذا يعني
ضرورة التحرك بسرعة أكبر لحسم الموقف، قبل أن
يشغلونا بالقتال معهم عن القتال من أجل الهدف الأصلي .

قالت في اهتمام :

- بقي احتمال واحد .. أن تكون تلك المنظمة الخاصة
هي التي كشفت أمرنا .

انعقد حاجباه، وهو يقول :

- في هذه الحالة سيدهشني كثيرا أن يحاولوا التخلص
منا، قبل سماع عرضنا بشأن صفتهم .

كانت سيارة القاتل تنطلق إلى خارج المدينة، في هذه
اللحظة، فتنطلق خلفها (أدم)، محاولاً عدم كسر
إشارات المرور، أو إثارة توتر رجال الشرطة، خاصة وأن
سيارة القاتل لم تكن تنطلق بسرعة كبيرة، وكأنها لا تشعر
بمطارقته لها .

ولم تمض دقائق معدودة، حتى كانت السيارتان تنطلقان
خارج المدينة بالفعل، فقالت (جيهان) في حيرة :

- لم لا تلحق به، ونحطم ألفه، لمعرفة من أرسله ؟
اهتم في سخرية، قائلاً :

- يا لفرقة مشاعرك !.. كلا يا زميلتي العزيزة، ليس
من الأفضل أن تلحق به، فقد يقع في قبضتنا، ثم يتضح
أنه من الطراز الشديد الصلابة، الذي يرفض الإذلاء
بما لديه، حتى لو مزقت أطرافه إرباً .. مادام لا يشعر
بمطارقته له، فلنتبعه إلى حيث يذهب، ولا شك في أن هذا
سيقودنا إلى معلومات أكثر دقة وأكثر غزارة .

هزّت كتفها ، ومطّت شفتيها ، قائلة :

- كما تشاء .. أنت الرئيس هنا .

قالتها وran عليهما الصمت طويلاً ، وهما يتبعان سيارة القاتل ، حتى بلغا منطقة بحيرات متجمدة ، تبدو صامتة تماماً ، مع حلول الظلام ، فاحترفت إليها سيارة القاتل ، وانحرف خلفها (أدهم) ، و....

وفجأة ، تفجّر في رأسه شيء ما ..

فجأة ، انتبه إلى أن المنطقة صامتة ومقفرة ، وبعدة عن العمران بأكثر مما ينبغي ..

وفي نفس اللحظة ، التى انتبه فيها إلى هذا ، لمح مصابيح السيارتين ، اللتين برزتا خلفه ، في ذلك الطريق الفرعى ..

وعند هذه النقطة ، لم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء بالغ ، ليدرك أنه وقع في الفخ ..

فخ محكم للغاية ..

★ ★ ★

حذق (سيرجى كوروبوف) في وجهه (ستيفان) طويلاً ، في مزيج من الدهشة والاستنكار ، قبل أن يقول في شيء من الحدة :

- يخيل إلى أن ما تقوله نوع من المزاح السخيف ، أو أنها عبارة خرقاء حمقاء ، لا تحمل أننى قدر من المسئولية .

ابتسم (ستيفان) ، وهو ينهض إلى البار الصغير في مكتبه ، قائلاً :

- بل هو عرض حقيقى يا مستر (كوروبوف) ، وفى حالة قبولكم له ، أضمن لك أن نستعيدوا أسطواناتكم ، وألا يحصل عليها سواكم .

قال (كوروبوف) في حدة :

- ولكن صواريخنا ذات الرؤوس النووية ، ليست سلعة قابلة للبيع أو التفاوض .. إنها مخزوننا من الأمن الاستراتيجى !!

هزّ (ستيفان) كتفيه بلا مبالاة ، وهو يصب لنفسه كأساً من الخمر ، قائلاً :

- كان هذا فيما مضى يا عزيزى (كوروبوف) ، أما الآن ، فالعالم أجمع يدرك ما آل إليه حالكم ، بعد الاتيهار الاقتصادى الحالى .. إن شعبك يتصوّر جوفاً يا رجل ، فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه فئة من أصحاب الملايين ، وانتشرت الجريمة المنظمة على نحو لم يحدث من قبل ، وكل هذا يشير إلى أنه من المستحيل أن تفكر حكومتك فى

خوض حرب شاملة ، تحت أية ظروف أو ضغط ، ويعنى أن
مخزونكم الاستراتيجى من الصواريخ ، ذات الرعوس
النوية ، لن يعدو كونه مجرد أرقام جافة ، فى قوائم
الأسلحة غير التقليدية .

قال (كوريوف) فى صرامة :

- هذا لا يعنى أن نبيعها ، أو نبادل بها أشياء أخرى ،
مهما بلغت قيمتها .

ابتسم (ستيفان) فى خبث ، قائلاً :

- ولم لا ؟ .. أنتم تريدون أسطواناتكم ، ونحن نريد تلك
الصواريخ .. إنها تبدو لى صفقة عادلة للغاية .

نهض (كوريوف) من مقعده ، قائلاً فى حدة :

- خطأ يا مستر (ستيفان) .. خطأ .. لو أننا متحنا
صواريخنا ، ذات الرعوس النووية ، لكل من يطلبها ،
أو يقايضنا عليها ، لأتى يوم تتوجه فيه صواريخنا نحو
صدورنا ، وتهدد سلامتنا وأمننا .. كلا .. إنها صفقة
مستحيلة تماماً .

التفت إليه (ستيفان) فى صمت ، وارتشف رشفة من
كأسه ، وهو يسأله :

- قل لى يا مستر (كوريوف) : هل تعرف ما الذى
تحويه تلك الأسطوانة المدمجة ؟

انعقد حاجبا (كوريوف) فى شدة ، وهو يقول :
- ليس من شأنى أن أعرف .. إننى أنفذ أوامر رؤسائى
فحسب .

هز (ستيفان) كتفيه ، قائلاً :

- فليكن .. استشر رؤسائك إنن .

ازداد التعقاد حاجبى (كوريوف) ، وهو يقول :

- فيم ؟

أجاب (ستيفان) فى هدوء ، وهو يرتشف رشفة أخيرة
من كأسه ، ويرمق (كوريوف) بنظرة جانبية ، ليستشف
تأثير عبارته عليه :

- فى شأن الصفقة .. اتصل بهم ، وانظر ماذا يرون
بشأنها .

قال (كوريوف) فى حدة :

- سيرفضون حتماً .

ابتسم (ستيفان) فى سخرية ، قائلاً :

- استشرهم أولاً يا مستر (كوريوف) .

رمقه (كوريوف) بنظرة طويلة صامتة ، ثم قال :

- فليكن يا مستر (ستيفان) .. سأفعل .

ثم لوح بسبابته فى وجهه ، مستطرذا فى حدة :

- ولكن ثقي بأنهم سيرفضون هذه الصفقة القذرة ..
سيرفضونها تمامًا .

ظل (ستيفان) صامتا، حتى غادر (كوريوف) المكان كله، ثم أطلق ضحكة ساخرة، وهو يصب لنفسه كأسا أخرى، قائلا :

- يرفضونها !؟ سنرى يا مستر (كوريوف) ..
سنرى .

وعاد أيجلس خلف مكتبه، ولكنه لم يكذب يستقر على مقعده، حتى دخل أحد مساعديه إلى مكتبه، وناولته شريط تسجيل صغير، قائلا :

- لقد وصل هذا بالبريد الفوري العاجل، ومن الواضح أن اسم الراسل زائف .

تطلع (ستيفان) إلى الشريط في قلق، ثم التقطه، ووضعه في جهاز التسجيل المجاور له، وراح يستمع إليه في اهتمام ..

واتسعت عيناه في ارتياح ..
فقد كان ما يسمعه عنيفا ..
عنيفا للغاية ..

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفقتى الجنرال (تورنسول)، وهو يتطلع إلى ساعة يده، قائلا :

- الآن يكون الفخ قد أطبق على رجل المخابرات المصري .

مط (كيلرمان) شفقتيه، وهو يقول :

- فرضية جدلية .

انعتقد حاجبا (تورنسول) في صرامة، وهو يقول :

- بل برنامج موضوع بدقة بالغة يا (كيلرمان) .. فخ متقن إلى الحد الذي يكفى لخداع محترف من الطراز الأول، مثل (أدهم صبرى) .. محاولة اغتيال فاشلة، مجهولة المصدر، ويعدها يفز القاتل، ويبدو وكأنه لا ينتبه إلى أن الشخص المستهدف يتبعه .. ماذا تفعل لو أنك محترف، مثل (أدهم) هذا ؟ .. ستطاردته خفية بالطبع، دون الإفصاح عن نفسك، حتى يمكنك التوصل إلى مكمنه، ومعرفة الجهة التي يعمل لحسابها .. فخ لا يمكن مقاومته يارجل .

قال (كيلرمان) في شيء من انعصبيه :

- ربما لم تنظر عليه الخدعة .

ابتسم (تورنسول) في ثقة، وهو يقول :

- عندما أضغ خطة للإيقاع بشخص ما ، فأنا أختار
الخطة القادرة على خداعي شخصيًا ، لو كنت في الموقف
نفسه ، علما بأنني شخص غزير الشك ، لا أثق حتى في
أصابعي ، وليس من السهل تهريبتي في فخ ما .

لقت (كيلرمان) دخان سيجارته ، قائلا :
- ومن أدراك أنه وقع في الفخ ؟! .. هذا المصري اعتاد
دائما مهاغتنا بكل ما لا نتوقعه .

لفرح (تورنسول) بسبأته نقيا في الهواء ، وهو
يجيب :

- لو أنه لم يفعل ، لتلقيت إشارة لاسلكية من رجالي ،
وعدم وصول تلك الإشارة يعني أن كل شيء ما زال يسير
وفقا للخطة ، وعندما يطبق الفخ عليه تماما ، سيرسلون
إشارة أخرى ؛ لإبلاغنا بهذا .

غمغم (كيلرمان) في توتر :
- أرجو أن يمكنهم إرسالها .
لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاخطف
سماعته بحركة سريعة ، قائلا :

- (كنوبي) .. من المتحدث ؟
أتاه صوت (ستيفان) ، وهو يقول في توتر واضح :
- مستر (كنوبي) .. جميل أن وجدتكم ، فلدي ما أحب
أن أسمعكم إياه .

احتقن وجه (كيلرمان) في شدة ، والهاتف ينقل إليه كل
حرف ، تبادل مع (جير) ، بكل تفاصيل خطة العملية
الانتحارية ، التي اتخذوا قرارها بشأنها ، ولم يكذب
ينتهي ، حتى هتف (كيلرمان) في حدة :

- زائف .. هذا الشريط زائف .
أجاب (ستيفان) في صرامة :

- بل هو تسجيل حقيقي يا مستر (كنوبي) .. لقد
أخضعناه للمحلل الصوتي ، وتأكدنا من أنه حقيقي .
أزرد (كيلرمان) لعابه في توتر شديد ، وهو يقول :

- مستر (ستيفان) .. يمكنني أن أوضح الأمر .

أجاب (ستيفان) في غضب :
- اسنا بحاجة إلى التوضيح يا مستر (كنوبي) ، فكل
شيء يبدو لنا واضحا جليا .. لقد عرفنا نواياكم بشأننا
بالضبط .

قال (كيلرمان) في عصبية :
- فليكن .. إنه ليس أمرا شخصيا كما تعلم .. إنها
ضروريات العمل ..

أجاب (ستيفان) :
- بالطبع يا مستر (كنوبي) .. بالطبع .. نحن نقدر هذا ،
ونعرف ما الذي يمكن أن تدفعك إليه هذه الضروريات .

شعر (كيلرمان) بدهشة لذلك الحوار ، ففهم :

.. حقا ؟

أجاب (ستيفان) في حماس مصطنع :

.. بالتأكيد يا مستر (كنوبى) .

ثم أضاف في لهجة تقطر دهاء :

.. ولكن هناك تغيير بسيط سيحدث في الخطة حتما .

سأله (كيلرمان) في حذر :

.. أى نوع من التغيير ؟

استعاد صوت (ستيفان) صرامته ، وهو يقول :

.. سيرتفع المبلغ المطلوب من مليار دولار إلى مليار

ونصف ، وسنمنحك يوما واحدا لإتمام الصفقة ،

وآلا أتعناها مع الروس .

صاح (كيلرمان) في حدة :

.. الروس لا يمكنهم منحكم ربع هذا المبلغ ، وإلا لانهيار

اقتصادهم كله .

أجاب (ستيفان) في صرامة :

.. ربما .. ولكن لديهم وسائل أخرى للسداد .

ثم أضاف بلهجة قاسية حاسمة :

.. يوم واحد فقط يا مستر (كنوبى) ، وبعدها لن تتم أية

صفقات بيننا .

قالها ، وأنهى الاتصال في عنف ، جعل (كيلرمان)

يهتف محتفا :

.. اللعنة !

سأله (تورنسون) في اهتمام :

.. ماذا حدث بالضبط ؟

أجاب (ستيفان) :

.. ذلك المصرى أشد العملية كلها .. إنه لم يكن هنا

ليتشاجر معى فحسب .. لقد سجل حوارى مع (جير) حول

العملية الانتحارية ، ثم أرسل التكنيولات لذلك الحقيق

(ستيفان) .

احتقن وجه (تورنسون) بدمره ، وهو يقول :

.. إذن ظم يعد لوجودنا أى داع .

ثم صاح محتفا :

.. ألم أقل لك : إن الخطوة الأولى هي القضاء على ذلك

المصرى ؟

لوح (كيلرمان) بيده ، هاتفا :

.. إنه لك .. أرنا ما ستفعله به .

هتف (تورنسون) في غضب هادر :

.. سترى ما يمكن أن يفعله الجنرال (تورنسون)

ورجاله .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى ارتفع أزيز خاص من جهاز الاتصال في جيبه ، فهتف في حماس :

- الإشارة .. لقد وقع في الفخ .

ثم انترع جهاز الاتصال من جيبه ، وقال في انفعال :

- الصيد في قبضتكم يا رجال .. لقد ألغيت العملية الرئيسية ، بعد أن الكشف أمرها بسبب ذلك الصيد .. الرجل الذي أوقفتم به وجه إليكم أكبر إهانة في حياتكم ، بإفساده عملياتكم الرئيسية .. استردوا كرامتكم وانظفروا به .. أريده كومة من اللحم المفروى ، تعجز أمه نفسها عن تعرفه .. هنا .. انطلقوا .

كان يعلم أنه بكلماته هذه قد حول رجاله العشرة إلى وحوش كاسرة ..

وحوش تستهدف كلها فريسة واحدة ..

رجلنا (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

« ماذا دهاك يا (أدهم) ؟ ... »

دوت الصرخة في أعماقه غاضبة ثائرة ، فور انتباهه إلى السيارتين ، اللتين قطعتا عليه طريق العودة .. وامتلات نفسه بالمسخط على نفسه ..

كيف لن ينتبه إلى هذا الفخ ١٢ ..

كيف وقع فيه بهذه البساطة ١٢ ..

كان يعترف في أعماقه بأنه فخ متلن ، تم إعداده ببراعة فائقة ، ودقة مذهمة ، نهجت في خداعه بالفعل ، إلا أنه لم يستطع أن يغفل لنفسه وقوعه فيه على هذا النحو ..

ولكن من حسن الحظ أن غضب (أدهم صبرى) يتحول دائما إلى طاقة إيجابية رهيبة ، تنبض بها عروقه ، وتصرخ بها كل عضلة في جسده .. ويكبل غضبه وحزمه ، قال لأمينته الجديدة :

- تشبثي بمقعدي جيدا .

أطاعته (جيهان) بحركة غريزية ، وقبل أن تسأله عما دفعه إلى هذا القول ، كان ينحرف بالسيارة بفتة ، متجاوزا الطريق الرئيس الضيق ، إلى القاعة غير الممهدة إلى يساره ..

ولم يكذب يفعل هذا ، حتى فهمت (جيهان) الموقف على الفور ..

لقد انطلق من السيارتين الخلفيتين صرير عنيف ، قبل أن تتضاعف سرعتهما ، وتتحرفا إلى القاعة بدورهما .. ثم لحقت بهما السيارة الأمامية ..

وبدأت مطاردة عنيفة وسط الغابة ..

كان (أدهم) ينطلق بأقصى سرعة ، وسط الأشجار العديدة ، فيدور حولها في مهارة مدهشة ، ويتجاوزها في خفة بلا حدود ، و (جيهان) تهتف :

- إنه فخ إذن !!

أجابها في حزم :

- جميل منك أن لاحظت هذا .. أخبريني يا زميلتي

العزيزة ، كم رصاصة تحملينها معك ..

انترعت مسدسها على الفور ، وهي تقول في حماس :

- ست رصاصات ، هي كل محتويات خزانة مسدسي ..

وماذا عنك ؟

أجاب في سخرية :

- أتفوق عليك بالطبع ، وأحمل في مسدسي ثمانى

رصاصات دفعة واحدة ألست رئيسك المباشر ؟

قالت في حزم :

- أعتقد أن هذا يكفينا .

ثم برزت بنصفها العلوى من النافذة ، وأطلقت النار نحو

السيارات المطاردة ..

كان (أدهم) شديد البراعة ، في القيادة فوق هذه

الأرض غير الممهدة ، إلا أن براعته هذه لم تمنع الارتجاج

العنيف للسيارة ، الذى منع (جيهان) من إجادة التصويب على السيارات المطاردة ، التى ينطلق سائقوها ببراعة منقطعة النظير أيضا ..

ولكن رد الفعل جاء عنيفا للغاية ..

فلم تكدرصاصاتها تنطلق ، حتى انهال عليها وابل من

الرصاصات ، من ركاب السيارات الثلاث ، فتراجعت

بسرعة إلى داخل السيارة ، هاتفة :

- رياه .. إنهم محترفون !

أجابها (أدهم) ، وهو ينحرف بسيارته في سرعة :

- وهل راودك أدنى شك فى هذا ؟

ارتطم جانب سيارته بإحدى الأشجار ، قبل أن يندفع إلى

منطقة أقل كثافة ، فى حين ارتفع من خلفه صوت ارتطام

إحدى السيارات الثلاث بواحدة من الأشجار ، فقال ساخرا :

- هذه أكبر فائدة للسيارات الرياضية الصغيرة ، التى

تميلين إلى استئجارها يا زميلتي العزيزة ، فهي أخف

وزنا ، وأقل حجما ، وأكثر سرعة ، مما يجعلها السيارة

المثالية ، فى مثل هذه الظروف .

ألقت نظرة خلفها ، وهي تقول :

- ولكن السيارات الأخرى قوية أيضا ، وقدرتها أكبر

على احتمال الصدمات ، والدليل على هذا أن واحدة من

السيارات الثلاث لم تخرج من الخدمة بعد .

أجابها في حزم :

- وهذا يعني أن القوة وحدها لن تحسم هذا الصراع .

والحرف بفتة بالسيارة ، ثم أطلقاً أنوارها ، مستطرذاً :

- هناك الفكاء والبراعة أيضا .

قالها ، وهو يدور بالسيارة حول نفسها ، ثم ينزلق بها

بين صفيين من الأشجار ، فسألته (جيهان) في همس ،

وكانها تخشى أن يكشف صوتها موقعهما :

- ما الذي تلوى فعله بالضبط ؟

أجاب في هدوء :

- ستري .

كانت السيارات الثلاث القوية تتطلق باحثة عنه في

شرامة ، ومصباحها تشق الغابة ، وتلقى ظلالاً قوية

متشابهة ، للأشجار والنباتات الغزيرة ، على نحو تتداخل

معه المشاهد والمناظر والأشياء ، و...

وفجأة ، أضاء (أدهم) مصباحي سيارته مرة أخرى ،

وانقض بها على منتصف الطابور الصغير مباشرة ، وهو

يستل مسدسه ، ويطلق رصاصاته ..

واتسعت عينا (جيهان) في دهشة وانبهار كبيرين ..

فعلى الرغم من الارتجاج العنيف ، ومن أن (أدهم)

يستخدم يده اليسرى ، فقد نجح في إصابة ثلاثة مصابيح ،

وطارين ، وأحد سائقي السيارات ، قيل أن ينحرف
بسيارته في براعة ، ويتجاوز السيارات الثلاث بقفزة
مدهشة ..

وفي غضب ، صرخ قائد الانتحاريين العشرة :

- طاردوه يا رجال .. لن تسمح له بالإفلات منا قط .

اضطرت إحدى السيارات الثلاث إلى التوقف ؛ لاستبدال

إطارها التالفين ، بعد أن استعارت الإطار الاحتياطي

لسيارة أخرى ، في حين انطلقت السيارتان الأخريان

تواصلان المطاردة في إصرار وحش عنيف ..

وفي سيارة (أدهم) ، هتفت (جيهان) :

- يبدو أننا لم نعطيهم طويلاً .

أجابها (أدهم) :

- لقد أخرجنا إحدى السيارات من السباق ، وهذا يكفي

كبداية .

زفرت في توتر ، قائلة :

- المهم هو ما الذي تحمله لنا النهاية .

أجاب في صرامة :

- أتركى الجواب للزمن .

ابتسعت ساخرة ، وهي تقول :

- أيعنى هذا أنه ما زال أمامنا زمن ؟

لم تكد تتم عبارتها، حتى ارتفع صغير قوى من بعيد،
فنهقت هاتفة :

- رياه !.. اننا نتجه نحو شريط القطار .

انعدد حاجبا (أدهم)، وهو يلوح مصباح القطار، القادم
من بعيد، وألقى نظرة على المرأة الجانبية لسيارته،
فأدرك أن السيارتين المطاردتين تسعيان لمحاصرته
بينهما، فقال في حزم :

- ثرى كم تبلغ سرعة القطارات هنا ؟

أدهشها سؤاله في البداية، ثم لم تلبث أن انتهت فجأة
إلى ما يرمى إليه ..

وتطلعت في توتر شديد إلى القطار، الذى يقترب في
سرعة، و....

وفجأة، عادت الرصاصات تلهمر على السيارة في
عذب وغزارة ..

وبنظرة واحدة، أدركت (جيهان) سبب هذا ..

لقد برز من كل من فتحى سقف السيارتين، أحد
المحترفين العشرة، وقد أمسك كل منهما مدفعا آليا قويا،
وراح يطرهما برصاصاته ..

وانحنى (جيهان) في مقعدها، وهى تطلق صرخة
متوترة، والرصاصات تخرق الزجاج الخلفى للسيارة،

وتهشمه بدوى مكتوم، فتتناثر قطعه الصغيرة فى كل
مكان ..

أما (أدهم)، فلم ينحن لحظة واحدة ..

لقد اتعقد حاجباه فى حزم مخيف، وهو ينطلق بالسيارة
بأقصى سرعتها، فى سباق رهيب مع الزمن، يستهدف به
بلوغ قضبان السكك الحديدية، قبل أن يبلغها القطار
القادم، الذى يقترب أيضا بسرعة مدهشة ..

واخترقت إحدى الرصاصات زجاج السيارة الأمامى،
بعد أن مرقت على مسافة سنتيمتر واحد من أذنه،
وأطاحت ثانية بالمرأة الداخلية ..

إلا أنه لم يتحرك قيد أنملة ..

كان يبدو وكأنه قد استحال إلى آلة مبرمجة للقيادة
بأقصى سرعة ..

آلة لا تعرف الخوف أو القلق ..

وكان الموقف شديد التعقيد بالفعل ..

القطار يقترب فى سرعة، من المنحنى الذى ينقطع
نحوه (أدهم)، وسيارتا المطاردتين تقتربان،
والرصاصات المنهمرة منهما لا تنقطع ..

واتسعت عينا (جيهان) فى ارتباغ، وهى تتابع القطار
ببصرها، هاتفة :

- لن نفلح .. لن نفلح .

كانت السيارة تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، وكان من الواضح أنها لن تنجح في عبور المسافة المتبقية في الوقت المناسب ..

ولكن (أدهم) ضغطت بواسطة الوقود أكثر وأكثر .. كان وكأنه يستحث السيارة على مجاراته في كسر حاجز المستحيل ، والانطلاق بسرعة تفوق سرعتها القصوى .. وفي سيارتي المطارين ، هتف أحد المحترفين :
- ما الذي يفعله هذا المجنون ؟ .. سيرتطم بالقطار حتماً .

هتف به زميله :

- دعه يفعل .. سيوفر علينا الجهد اللازم للقضاء عليه .

أمسك زميل ثالث بيده ، وقال في انفعال :

- أتعنى أن ينجح في تجاوز القطار .

سأله الأول في دهشة :

- ولماذا ؟

أشار الرجل بسبابته إلى ضوء يبرز من بعيد ، فارتفع حاجبا زميله ، قبل أن يلتقيان معا وهو يطلق ضحكة شرسية ، قائلاً :

- نعم .. أتعنى هذا .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كانت (جيهان) تراقب القطار ، هاتفة :

- لن ننجح يا (أدهم) .. لن ننجح .. إنه يقترب بسرعة .

ولكن (أدهم) لم يجب ، وإنما انحرف إلى اليسار قليلاً ، وانطلق بزاوية حادة نحو القضبان ، ثم انحرف فجأة لحوها ، وانقضَّ عليها مباشرة ، وقد صار القطار على مسافة ستة أمتار فحسب ، وصرخت (جيهان) :

- قف .. قف بالله عليك .. لن ننجح أبداً .

ومع صرختها ، وثب (أدهم) بالسيارة ..

وكان المشهد رهيباً بحق ..

لقد بدا وكأنه عملية بهلوانية التحارية ، منفذة بدقة مذهلة ، فالسيارة قفلت أمام القطار مباشرة ، وتجاوزته قبل أن يرتطم بها بجزء من مائة جزء من الثانية ..

وصرخت (جيهان) في حماس جنوني ، والسيارة تستقر فوق القضبان العكسية ، والقطار ينطلق من خلفها بسرعه الكبيرة :

- لقد فعلتها .. فعلتها بحق .. لقد ..

قبل أن تنم عبارتها ، سطع ذلك الضوء المبهر في
وجهها ..
وفجأة ، انتهت إلى ذلك القطار المضاد ، الذي يندفع
نحو السيارة بسرعة مخيفة ..
وفي هذه المرة كانت صرختها تختلف ، فقد حملت
الكثير من الرعب ..
ومن اليأس .

★ ★ ★



وفجأة ، انتهت إلى ذلك القطار المضاد ، الذي يندفع نحو السيارة
بسرعة مخيفة ..

١٢ - المحترفون ..

أوقف (زورين)، نائب رئيس المخابرات الروسية، سيارته الصغيرة، أمام ذلك المبنى القديم، في قلب (موسكو)، وغادرها وهو يرفع ياقة معطفه ليخفي بها نصف وجهه، ودق الباب ثلاث دقات منتظمة، وانتظر حتى فتح (يوريس) الباب، فدخل إلى المكان في سرعة، وهو يسأله في صرامة :

- هل وصل الجميع هنا ؟

أجابه (يوريس)، وهو يقوده إلى حجرة الاجتماعات :

- الجميع في انتظارك يا سيدي .

دخل (زورين) إلى قاعة الاجتماعات الصغيرة، وألقى نظرة طويلة على وجوه الرجال الخمسة، الذين احتلوا مقاعدهم حول العائدة، وقد ارتسم على وجوههم قلق واضح، لم يحاول أحدهم إخفائه، وقال في برود :

- حسن .. لماذا طلبتم عقد هذا الاجتماع العاجل ؟

أجابه أحدهم متوترًا :

- إننا نشعر بالقلق .

صَبَّ (زورين) لنفسه كأسًا من الفودكا، وهو يسأل :

- من أجل ماذا ؟

تبادلوا نظرة متوترة، ثم انبرى أحدهم، قائلاً :

- الوقت يمضي بسرعة، وما زالت الأسطوانة في قبضة العدو نجهله، وكلنا نعلم أنه لو انكشف أمرنا، أو انكشفت محتويات الأسطوانة، سيكون نهايتنا بشعة . ارتشف رشفة من كأسه، وتحنَّن شفتيه بلسانه،

وكانما يمنح نفسه فرصة للتفكير، قبل أن يجيب :

- قلت لكم : لا داعي للقلق .. لقد أرسلت فريقًا من أفضل رجالنا، لاستعادة تلك الأسطوانة، وكلى ثقة في قدرتهم على العمل .

سأله آخر في قلق :

- وهل يبنمون إلينا ؟ .. أعني هل يعملون لحسابنا ؟

صمت (زورين) لحظات، قبل أن يجيب في حزم :

- إنهم رجال مخابرات محترفون .

تبادل الرجال الخمسة نظرة أخرى متوترة، قبل أن يكرّر الرجل سؤاله :

- ليس هذا هو المهم يا (زورين) .. المهم هو : هل هم

أعضاء في منظمتنا أم لا ؟

النعقد حاجبا (زورين) ، وهو يجيب :

- هذا لا بهم .

هتف آخر مذعورا :

- كيف !؟ .. إنك تطالبهم بإحضار أسطوانة مدمجة ،
تحتوي أدق أسرارنا ، فكيف لا بهمنا إذا ما كانوا يعملون
لحسابنا ، أم أنهم من أنصار التطور الإصلاحي الجديد ؟
قال في حدة :

- قلت : إنهم رجال مخابرات محترفون ؟

ولوح بيده في غضب ، مستطرذا :

- سينفذون الأوامر ، ويحطمون تلك الأسطوانة تماما ،
دون أن يحاولوا إلقاء نظرة واحدة على محتوياتها .

قال (أحدهم) في عصبية :

- وكيف يمكنك أن تتق في هذا ؟

ضرب سطح المائدة بقبضته ، وهو يجيب مختدرا :

- رجل المخابرات المحترف ينفذ الأوامر بلا مناقشة .

والأوامر التي تلقوها تحتم عليهم عدم الاطلاع على
محتويات الأسطوانة .

ساله آخر مترددا :

- كيف يعرفون إذن أنها الأسطوانة الصحيحة ؟

أجابه (زورين) في صرامة :

- الكود المرمي في بداية الأسطوانة سيرشدهم إلى أنها
الأسطوانة الصحيحة .

لمح ظللا من الشك في عيونهم ، فأضاف بسرعة :

- ثم إن رئيس الفريق ما زال يميل كثيرا إلى النظام
القديم .

تهللت أساريرهم ، وهتف أحدهم :

- حقا !؟ .. إنه أحدنا إذن .

لم يجب (زورين) هذه المرة ، وإنما اكتفى بارتشاف
رشفة أخرى من كأسه ، قبل أن يقول :

- ثم إنني اتخذت كل الاحتياطات اللازمة .

تبادلوا نظرة قلقة حائرة ، قبل أن يسأل أحدهم مترددا :

- كيف هذا ؟

ارتسمت ابتسامة باردة على شفطي (زورين) ، قبل أن
يجيب :

- قررت تنفيذ العملية مبكرا .

هوى عليهم جوابه كالصاعقة ، فامتعت وجوههم ،
وتبادلوا نظرة ارتياح ، قبل أن يهتف واحد منهم غاضبا :

- هل اتخذت هذا القرار وحدك !؟

النعقد حاجبا (زورين) في شدة ، وهو يقول :

- كان هذا هو أفضل قرار يمكن اتخاذه، في مثل هذه الظروف، ولم يكن هناك وقت لاستشارة الجميع.

أجابه آخر في حدة:

- ولكنه قرار بمسئولينا جميعا، كان يجب أن تستشيرنا بشأنه، قبل الإقدام على خطوة حاسمة كهذه.

قال (زورين) في صرامة:

- العملية كلها كانت مهددة بالخطر، فيما لو انكشف أمر المنظمة، ولم يكن من الممكن أبدا أن تتوقف عملية (الإعصار الأحمر) .. بل ولم يكن هذا منطقيا؛ فلو انكشف التنظيم، من خلال الأسطوانة المدمجة، سيُلْقَى القبض علينا جميعا، وينتهي بنا الأمر في غياهب السجون، أو وسط ثلوج (سيبيريا) .. أما لو تقدم موعد بدء العملية، فسيُعنى هذا أن تبدأ سيطرتنا على الجيش والحكومة مبكرا، بحيث لا يعود لكشف الأمر أية أهمية.

وعاد يضرب سطح المائدة بقبضته، مضيفا:

- وهكذا اتخذت القرار.

غمغم (أدهم) متوترا:

- ولكن يا (زورين) ...

قاطعه في صرامة:

- الأوامر صدرت بالفعل، وبات من المستحيل التراجع

عنها.

- ثم انعقد حاجباه في شدة، مع استطرافته:

- وبعد خمسة أيام من الآن، سينطلق الإعصار من

عقاله ..

واطلت من عينيه نظرة مخيفة، وهو يضيف:

- الإعصار الأحمر.

وهوت القلوب بين الضلوع ..

وتحت الأقدام ..

★ ★ ★

لم يكد ذلك الضوء الساطع، للقطار القادم من الاتجاه العكسي، يغمر وجهي (جيهان) و (أدهم)، حتى انطلق عقل هذا الأخير يعمل بسرعة الصاروخ ..

كانت السيارة مستقرة فوق القضبان، والقطار يبعد عنها بدسة من الأمتار، يمكنه قطعها في ثوان معدودة، والقضبان ستعوى حتما عملية الاندفاع بالسيارة عبرها بالسرعة المتشوّدة ..

لذا فقد أدار (أدهم) عجلة القيادة، وضغط نؤاسة الوقود، وانطلق بالسيارة ..

انطلق فوق القضبان الحديدية نفسها، وليس عبرها .. وفتفت (جيهان) في ذعر:

.. ماذا فعلت بالله عليك ؟ .. القطار يطار دنا الآن ،
وسيلحق بنا حتماً .

لم يلتفت إليها ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعته ،
محاولاً اكتساب قوة دفع مناسبة ، والقطار يقترب ..
ويقترب ..

ثم فجأة ، مال (أدهم) بالسيارة ، وقلز خارج الشريط
الحديدي ..
وصرخت (جيهان) في قوة ، والسيارة تطير في
الهواء ، على مسافة تقل عن نصف المتر ، من مقدمة
القطار ..

ولكن السيارة عبرت الخطر هذه المرة ..
تقريباً ..

ففى الجزء الأخير من الثانية ، وبعد أن عبرت السيارة
الفراغ كله ، لحق بها القطار ، وضرب حاجز الصدمات
الخلفى بكل قوته ..

وعلى الرغم من أن الجزء الذى أصابه القطار ، لم تزد
مساحته عن عشرة سنتيمترات مربعة ، إلا أن الصدمة
بدت عنيفة للغاية ، حتى أنها دفعت مؤخرة السيارة فى
قوة ، فمالت مقدمتها على نحو مخيف ، وهى تهبط إلى

الأرض ، وترتطم بها ، ثم تقفز ثانية فى مشهد بشع ، وتدور
حول نفسها فى الهواء ، ثم تسقط مرة أخرى ، وتقلب على
جانبها فى عنف ، وسط عاصفة هائلة من القبار ..
ولثوان ، راح القطار ينطلق فوق القضبان ، والسيارة
مستقرة على جانبيها ، ساكنة صامتة ، على مسافة أمتار
ثلاثة منه ..

ثم برز (أدهم) من نافذة السيارة ، وانحنى يجذب
(جيهان) ، ويساعدها على الخروج من السيارة ، وهى
تسعل هاتفة :

.. مستحيل ..! هل نجونا ؟

أجابها فى حزم :

.. مؤقتاً .. ما زال هؤلاء الأوغاد يطار دوتنا .

سعلت مرة أخرى ، قائلة :

.. أعتقد أنهم طفروا بنا ، فلم تعد لدينا وسيلة للفرار .

تلقت حوله ، قبل أن يشير إلى نقطة بعيدة ، قائلاً :

.. ربّما ، ولكن هناك مكان نلجأ إليه على الأقل .

تطلعت إلى حيث يشير ، ووقع بصرها على مطعم

مغلق ، من المطاعم التى ينشط العمل فيها فى فصل

الصيف ، فهتفت :

.. هل تعتقد هذا ؟

لم يجيبها (أدهم) ، فقد اتهمك بانتزاع قذاحة السيارة ،
وألقاها مشتعلة أرضاً ، فوقى الوقود الذى سال من
السيارة ، قبل أن يهتف بها :
- هيا بنا .

انطلقا يعدوان نحو ذلك المطعم المغلق ، وهى تلهث
قائلة :

- يبدو أن اسمى سيوضع على رأس القالمة السوداء ،
فى كل شركات تأجير السيارات ؛ فكل سيارة أستاذجها
تنتهى محترقة .

ابتسم ، قائلاً :

- المهم ألا تكونى بداخلها عندئذ .

كان القطار قد ابتعد فى هذه اللحظة ، وبرزت سيارتا
المطاردين ، وقد لحقت بهما السيارة الثالثة ، وهتف أحد
المحترفين داخلها :

- ها هى ذى سيارتهما .. لقد أصابها القطار ، فاشتعلت
فبها النيران .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انفجرت السيارة فى قوة ،
وتناثرت شظاياها المحترقة ، وامتزج دوى الانفجار
بصوت محترف آخر يهتف :

- ها هما ذان .. إنهما يعدوان نحو ذلك المطعم القديم
هناك .

انطلقت السيارات الثلاث ، وراحت تطلق النيران نحو
(أدهم) و (جيهان) ، اللذين جريا بكل قوتهما ، وصاحت
(جيهان) :

- أرجو ألا يكون الباب مغلقاً بإحكام .

استل (أدهم) مسدسه ، هاتفاً :

- إنه كذلك حتما .

ودون أن يتوقف عن الجرى ، أطلق الرصاصتين
المتبقيتين لديه ، على قفل الباب ، فنفسه على الفور ، ثم
دفع الباب هاتفاً :

- أسرعى .

قفزت (جيهان) داخل المكان ، وأغلق (أدهم) الباب
فى قوة ، والرصاصات ترتطم به فى دوى مكتوم ، فقالت
هى متوترة :

- عظيم .. أصبحنا سجينين داخل المطعم .. أنت
فرغت رصاصاتك ، وأنا فقدت مسدسى مع الارتطام .
تلفت حوله ، وهو يقول فى حزم :
- سنجد ما نقاتل به حتماً .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كانت السيارات الثلاث تتوقف خارج المكان ، وهتف قائد المحترفين العشرة في صرامة :

- لقد وضعنا نفسيهما بأيديهما في المصيدة .. حاصروا المكان يا رجال .. لقد انتهت العملية تقريباً .

انتشر الرجال العشرة حول المطعم ، واستعدوا لاقتحامه بعدافعهم الرشاشة ، وزعيمهم يقول :

- اتخذوا مواقعكم ، واستعدوا جيداً ، وسابدأ العد عكسياً ، من عشرة إلى واحد ، وعندما انتهى ، سنقتحكم كلنا المكان في آن واحد .

بلغ الهتاف مسامع (جيهان) ، فقالت متوترة :

- عظيم .. أعتقد أنها النهاية .. دعني أصافحك في حرارة يا سيادة العميد ، لقد كان العمل معك ممتعاً ، ويسعدني أن أموت بصحبتك .

تجاهل (أنهم) يدها الممدودة إليه ، وهو يقول في حزم :

- لم يحن الوقت بعد .

ثم تحرّك في سرعة ، فاتجه إلى المطبخ ، وفتح الموقد ، فانتشر الغاز الطبيعي في المكان ، وسألته (جيهان) :

- عجباً !.. هل تفضل الانتحار ؟

ابتسم قائلاً :

- الانتحار للجبناء يا زميلتي العزيزة .

والتقط عليه ثقاب ، وراح يثبتها في إطار الباب الخلفي للمطبخ ، ثم انتزع منها عود ثقاب ، ثبته يشريط لاصق إلى الباب ، بحيث يلمس طرفه ذلك الجزء الخشن ، المخصص للاشتعال ، في جانب عليه الثقاب ..

ثم حمل موقد (الميكروويف) للصغير ، وأسرع به إلى قاعة الطعام ، وأوصله بالتيار الكهربى ، وهو يقول :

- ابحشى عن أية عبوات مضغوطة .. مبيدات حشرية ، مثبتات شعر .. أو حتى علب الكريمة المخفوقة ، التي توضع على سطح القهوة .

أسرعت تبحث بسرعة ، في حين انتزع هو أحد مفارش المائدة ، وراح يقطع منه بعض القطع الصغيرة ، وأحضر وعاء الكحول (*) ، وراح يملأ بعض الزجاجات الفارغة بالسانل ، ويسدها بقطع القماش الصغير ، وقائد المحترفين في الخارج يبدأ عده التنازلي .

(*) الكحول : مركب عضوى ، يتربط جزيئه من الكربون والهيدروجين والأكسجين ، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من مجموعات الهيدروكسيل ، وتنقسم الكحوليات إلى كحوليات أحادية وثنائية ، وثلاثية ، وتختلف في خواصها الفيزيائية والكيميائية ، كما تختلف بين سوائل وجوامد ، وهذا في درجات الحرارة العادية .

لنطلقا يعدوان إلى الطابق العلوى ، فى نفس اللحظة ،
التي هتف فيها الزعيم :
- واحد .. اجمعوا .

ومع صيحته ، بدأ الهجوم ..
وفى آن واحد ، اقتحم ثلاثة من المحترفين باب المطعم
الترنسى ، ومثلهم باب المطبخ الخلفى ، فى حين قلز
الأربعة الآخرون عبر النوافذ ..

وكانت المفاجأة الأولى من نصيب أولئك ، الذين
اقتحموا باب المطبخ الخلفى ..
لقد أطلقوا النار على رتاج الباب من الخارج ، ثم
انقضوا على الباب بكل قوتهم ..

ومع الدفعة الأولى ، احتك رأس عود الثقاب بالسطح
الخشن للعلبة ..
واشتعل ..

وكان المكان ممثلاً بالغاز الطبيعى ، الذى التقط لسان
الذهب من عود الثقاب ، و ...
ودوى الانفجار ..

وسقط اثنان من المحترفين صرعى ، فى حين اشتعلت
النيران فى الثالث ، الذى أطلق صرخات رهيبية ، وراح
يعدو فى الغابة كمشعة حية ، وألقى جسده أرضاً ، وراح
يتقلب فى هلع وألم ، محاولاً إطفاء نيرانه ..

- عشرة .. تسعة .. ثمانية ..
قالت (جيهان) فى توتر ، وهى تحمل بعض علب المبيد
الحشرى المضغوطة (البخاخات) :

- ماذا يتبقى أن أفعل بها ؟
أجابها فى حسم :
- ضعيها فى فرن (الميكروويف) .
هتلت فى عشة :

- ولكن هذا بالغ الخطورة ، فلو وضعت أية أشياء
معدنية فى (الميكروويف) ، سيؤدى هذا إلى انفجاره ،
و

بترت عبارتها بقوة ، وقد انتهت إلى الموقف ،
فأضافت فى جمل :
- وهذا هو المطلوب .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :
- بمعنى أنك تستوعبين الأمور فى سرعة .
كان الزعيم يواصل فى حزم :

- خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. اثنان .
وألقى (أدهم) غصداً من الزجاجات المملوءة بالكحول
إلى (جيهان) ، قائلاً :

- سلخارب من الطابق العلوى .



فالتصق (أدهم) و (جيهان) بالجدار الخشبي، في الطابق الثاني.

وأمسكت هي زجاجات الكحول في قوة ..

وصاح الزعيم في غضب :

- إنه فح .. أطلقوا النار .

انطلقت رصاصات الرجال في كل مكان ، فالتصق (أدهم) و (جيهان) بالجدار الخشبي ، في الطابق الثاني ، وأمسكت هي زجاجات الكحول في قوة ، وهي تقول :

- هل نبدأ الهجوم الآن ؟

هز رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بعد .. سنبدأ بعد الانفجار الثاني مباشرة .

ثم أخرج من جيبه علبة ثقاب أخرى ، ناولها إياها ، مستطرداً :

- سنحاول مهمة إشعال النار .

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- عظيم .. أصبح لي شيء من الأهمية على الأقل .

كانت الرصاصات تتطلق في غزارة في الطابق

السفلي ، وسمعت (جيهان) الزعيم يقول في غضب :

- ثلاثة يصعدون إلى الطابق العلوي .. من الواضح أنهما يختبئان هناك .

رفعت حاجبها ، قائلة في توتر :

- يبدو أننا سنضطر لتجاوز البرنامج ، وسنبدأ القتال

على الفور .

قالتها ، وهي تفتح علبة الثقاب ، ثم هتفت في حنق :

- لا .. ليس هذا .

بلغت صيحتها مسامع المحترفين السبعة فى الطابق الأرضى، فصاح الزعيم :

- إنهما هناك بالفعل .. اظفروا بهما يا رجال .

وفى نفس اللحظة، التى ألقى فيها هتافه، كان (أدهم) يحدق فى علية الثقاب، التى التقطها من المطبخ، ليشعل قنابل (المولوتوف) (*) التى صنعها ..

إنها لم تكن تحوى أعواد ثقاب عادية، وإنما كانت تمتلئ كلها بأعواد ثقاب نصف محترقة .

ولم يكن هناك مبرر منطقى للاحتفاظ بشيء كهذا فى المطبخ ..

ولكن هذا ما حدث ..

وتعالى وقع أقدام ثلاثة من المحترفين، يهرعون إلى الطابق العلوى للمطعم، وكل منهم يحمل مدفعه الآلى؛ ليوأجهوا اثنين من أفراد المخابرات المصرية ..

اثنان لا يحملان أسلحة فعالة ..

أية أسلحة .

★ ★ ★

(*) قنابل المولوتوف : ابتكار روسى بسيط، يعود إلى الحرب العالمية الثانية، عندما حاصر الألمان مدينة (موسكو)، ونفذت نخيرة المقاتلين السوفيت، قابكر الجنرال (مولوتوف) هذا النوع من القنابل البسيطة، التى تتكون من زجاجة وقود، وسدادة من القماش، تشعل لتفجير الوقود .

١٣ - المصيدة ..

قطع (كيلرمان) ممر مستشفى (جنيف) المركزى فى خطوات واسعة، حتى توقف أمام رجل شرطة سويدي، وقال :

- (برت كنوبى) .. من السفارة الأمريكية .. لقد أبلغتمونا بعثوركم على أحد رجالنا . صافحه الشرطى، قائلاً :

- مسٹر (كنوبى) .. لقد عثرنا بالفعل على رجل أمريكى الملامح، يحمل جواز سفر باسم (رونالد جير)، ولكننا نحتاج إلى من يتعرفه، ليثبت أنه كذلك بالفعل . سأله (كيلرمان) فى توتر :

- أين عثرتم عليه ؟

أجابه الشرطى، وهو يقوده إلى ثلاجة حفظ الموتى بالمستشفى :

- بالقرب من البحيرة .. الطبيب الشرعى لم يبدأ تشريح الجثة بعد، ولكن لا يوجد سبب واضح للوفاة .

غمغم (كيلرمان) :

- سنرى .

أشار الشرطى إلى عامل الثلاجة ، ف جذب أحد أدراجها الكبيرة ، فتقدم منه (كيلرمان) فى ثبات ، وألقى نظرة على وجه (جير) ، قبل أن يزدرد لعبه ، قائلاً :
- إنه هو .

أوماً الشرطى برأسه ، قائلاً :
- يمكننا أن نتم الإجراءات إذن .. قل لى يا سيدى : هل ترغبون فى نقله إلى بلادكم مباشرة ، بعد انتهاء الطبيب الشرعى من فحص جثته .

قال (كيلرمان) فى صرامة :
- لا ضرورة لذلك الفحص .
هز الشرطى رأسه ، قائلاً فى حزم :
- إنه إجراء حتمى .

صمت (كيلرمان) لحظة ، قبل أن يقول :
- فليكن .. سنحتاج إلى نسخة من تقرير الطب الشرعى .
أشار الشرطى بمناقبته ، قائلاً :
- يمكننى أن أضمن لك هذا .

ثم استطرد فى اهتمام :
- هل ستحصل على متعلقاته الآن ؟
أجاب (كيلرمان) فى حزم :

- نعم .. أريد الحصول عليها فوراً .. اعمل على إعدادها ، حتى أنتهى من إجراء مكالمه هاتفية .

قالها ، واتجه إلى هاتف عادى ، فى ركن المستشفى ، وطلب رقمًا خاصًا . ولم يكد يسمع صوت محدثه . حتى قال فى عصبية :

- إنه (جير) بالفعل .. التقرير الرسمى يقول : إن سبب الوفاة غير معروف ، ولكننى واثق من أن أحدهم قتله بوسيلة فنية ، تترك آثارًا طفيفة .
سأله محدثه فى توتر :

- من فعل هذا فى رأيك ؟

أجاب (كيلرمان) فى غضب :
- الروس أو المصريون .. أحدهما قرّر إزاحته عن الطريق .

قال محدثه فى حزم :

- أو انتزاع ما لديه من معلومات .
صمت (كيلرمان) لحظة ، قبل أن يقول :
- إننى أرجح هذا الاحتمال الأخير .

قال محدثه حازمًا :

- فى هذه الحالة ، يمكنك استبعاد المصريين ؛ فهذا ليس أسلوبهم المعهود ، ثم إن رجلهم ، الذى يتولى الأمر هنا ، ليس من الطراز الذى يقتل بلا ميرر .
قال (كيلرمان) وتوتره يتضاعف :

- إذن فالروس وراء مصرع (جير) .. اللعنة !..
أقسم أن يدفعوا الثمن غالبًا .

أجابه محدثه في صرامة :

- فيما بعد يا (كيلرمان) .. فيما بعد .. المهم أن كل
المؤشرات تحتم إنهاء العملية بأقصى سرعة .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يقول في حسم :

- اقبل عرض (ستيفان) يا (كيلرمان) .

انعقد حاجبا (كيلرمان) في شدة ، وهو يقول :

- أقبل عرضه ؟! .. ولكن ذلك المأفون يطلب مليارًا

ونصف المليار من الدولارات ، وخلال أربع وعشرين

ساعة فحسب !.. كيف يمكن تدبير مثل هذا المبلغ ، في

وقت قليل كهذا .

أجابه محدثه :

- لقد اتصلت بالمسئولين في (واشنطن) ، ولديهم حل

لهذه المشكلة .

سأله (كيلرمان) في اهتمام :

- وما هذا الحل ؟

أجابه محدثه في شيء من السخرية :

- هل تذكر عملية (فونتانا) ؟

برقت عيننا (كيلرمان) في شدة ، وهو يقول :

- هل تعني أن ...

قاطعه محدثه في سرعة :

- نعم يا (كيلرمان) .. أعلى ما فهمته بالضبط ..

سنمنحهم مليارًا ونصف المليار من الدولارات ، التي

حصلنا عليها من عملية (فونتانا) ، ونحصل على تلك

الأسطوانة المدمجة .

واستعاد صوته سخريته ، وهو يستطرد :

- في هذه الحالة تصبح الصفقة عابثة .. أليس كذلك ؟

كان الشرطي يعود في هذه اللحظة ، حاملاً متعلقات

(جير) ؛ ليسلمها إلى (كيلرمان) ، وكان من الطبيعي أن

يرتفع حاجباه في دهشة بالغة ، وهو يتطلع إلى هذا

الآخر ..

فقد كان (كيلرمان) يقهقه ضاحكًا ..

وبشدة ..

★ ★ ★

تمت المرحلة الأولى من الخطوة ..

تلقى (زورين) تلك الإشارة في مكتبه ، فانعقد حاجباه

في شدة ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، التي حملت

العبارة ، قبل أن تتحرك أصابعه فوق أزرار الكمبيوتر ،

ويظهر سؤاله على الشاشة :

- كل شيء في موضعه ؟

أتاه الجواب على الشاشة :

- تم تنفيذ المرحلة الأولى بالكامل ، وفقاً للبرنامج المعدل .. فى انتظار الأوامر لبدء المرحلة الثانية .

صمت (زورين) لحظات ، متطعناً إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم عادت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر ، قائلة :

- ابدأ المرحلة الثانية .

لم تمض ثوان معدودة ، حتى أتاه الجواب واضحاً على الشاشة :

- حلم ، وسيبدأ التنفيذ فوراً .

اجتاحه انفعال جارق ، وهو يتطلع إلى العبارة على الشاشة ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال الخاص على مكتبه ، قائلاً :

- (بوريس) .. تعال إلى مكتبى فوراً .

لم تعض دقائق معدودة ، حتى كان (بوريس) يدلف إلى مكتبه ، ويغلق الباب خلفه فى (حكام ، قائلاً :

- فى خدمتك يا سيدى .

التقط (زورين) نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :

- المرحلة الأولى تمت بنجاح .

هتف (بوريس) فى حماس :

- رائع يا سيدى .. هذا يعنى أن كل شيء مازال يسير

على ما يرام .

أوماً (زورين) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

- نعم يا (بوريس) .. كل الرجال اتخذوا مواقعهم ،

- واستعدوا لتنفيذ المرحلة الثانية .

برقت عيناً (بوريس) ، وهو يقول :

- نشر الصواريخ ، ذات الرؤوس النووية .

أجاب (زورين) :

- نعم .. ستبدأ عملية نشر الصواريخ ، وبعد أربعة أيام

بالتحديد ، تصبح كل الصواريخ مستعدة لإصابة أهدافها ،

وفى المرحلة الثالثة ، يبدأ العد التنازلى للإطلاق .. ثم

نضرب الأهداف كلها ، وينطلق الإعصار الأحمر ليجتاح

العالم أجمع .

زفر (بوريس) ، وهو يقول :

- ويتحقق الحلم يا سيدى .

برقت عيناً (زورين) فى شدة ، وهو يقول :

- نعم يا (بوريس) ، يتحقق الحلم ، ويستعيد المد

الشيوعى أمجاده السابقة ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه السرى الخاص ،

فانعدد حاجباً (بوريس) ، وهو يقول منفعلًا :

- إنها مكالمة من (أوروبا) .

أشار إليه (زورين) ، وهو يلتقط السماعة ، ويضعها على أذنه ، قائلاً :

- (زورين) .

ولم يكد (سيرجي كوربوف) يسمع صوته ، عند الطرف الآخر للخط ، حتى قال في احترام واضح :

- (كوربوف) يا سيدي .

اعتدل (زورين) في اهتمام ، وهو يسأله :

- كيف سارت الأمور يا (سيرجي) ؟

روى له (كوربوف) كل ما حدث ، منذ وصوله إلى (سويسرا) ، ثم أنهى حديثه ، وهو يقول مستكزاً :

- (ستيفان) المجنون هذا لا يدرك أننا لن نقبل عرضه قط .

صمت (زورين) لحظات ، ثم سأله في حذر :

- هل أطلعك على محتويات الأسطوانة يا (سيرجي) ؟

أجابته في حسم :

- كلا يا سيدي .. لم يفعل .

تراجع (زورين) في مقعده في ارتياح ، مقنعاً :

- عظيم .

ثم يلهم (كوربوف) السر في هذا الارتياح ، ولكنه

فوجئ برئيسه يستطرد في حزم :

- أقبل عرض (ستيفان) يا (سيرجي) .

ارتفع حاجبا (كوربوف) في دهشة بالغة ، حتى كاد

يفتلقيان وسط شعره ، وهو يهتف :

- ماذا ؟

أجابته (زورين) في صرامة :

- نفذ الأوامر يا (سيرجي) .. أقبل عرض (ستيفان) .

أنجم الذهول لسان (كوربوف) بضع لحظات ، قبل أن

يجيب :

- كما تأمر يا سيدي .

قال (زورين) :

- وبأقصى سرعة يا (سيرجي) .. أريد أن يتم هذا

الأمر بأقصى سرعة ممكنة .. اتصل به الآن لو أمكن .

غمغم (كوربوف) :

- سأفعل يا سيدي .. سأفعل على الفور .

وأنهى الاتصال والحيرة تملأ وجهه كله ، فسأله

(إيفان) في لهجة نصف ساخرة :

- هل أمرك بتسليم القيادة لي ؟

التفت إليه (كوربوف) في شرود ، وهو يجيب :

- بل أمرني بقبول العرض .

هبت (أنستازيا) من رقادها ، قائلة فى دهشة :
- ماذا ؟!

أما (إيفان) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
- مستحيل !

أجابه (كوروبوف) فى صرامة :

- لا يوجد مستحيل فى عالمنا .. من المؤكد أنها مناورة مدروسة ، أو محاولة للخداع .. سنحصل على الأسطوانات ، ثم نمحهم شيئاً زائفاً .. هذه خطتهم بالتأكيد .
قالها محاولاً إقناع رجاله ، إلا أنه هو نفسه كان يشعر بقلق عنيف ..
قلق بلا حدود ..

★ ★ ★

التقط (ستيفان) سماعة هاتفه ، ووضعها على أذنه ، قائلاً فى هدوء ، يشف عن قدر كبير من اللامبالاة :
- مساء الخير يا مستر (كنوبى) .. كيف حالك ؟
أجابه (كيلرمان) فى سرعة وحزم :
- لقد قبلنا عرضك يا مستر (ستيفان) .
ابتسم (ستيفان) ، قائلاً :
- هكذا ؟! .. عظيم .. عظيم جداً يا مستر (كنوبى) ،
ولكن تذكر .. لقد منحكم يوماً واحداً .

أجابه (كيلرمان) فى توتر :
- أعلم هذا .. لقد انطلقت الشحنة بالفعل من (نيويورك) ، وستصل إلى هنا بطائرة خاصة ، خلال تسع ساعات فحسب .

قال (ستيفان) فى هدوء :

- راتع يا مستر (كنوبى) .. سننتظر وصول الشحنة ، ثم نتم الصفقة .. إلى اللقاء .

انتهى الاتصال ، وهو يقول فى سخرية :

- كنت أعلم أنكم ستوافقون .

سأله مساعده فى اهتمام :

- هل سيدفعون المبلغ بأكمله ؟

أجابه (ستيفان) فى ثقة :

- دون أن ينقص دولاراً واحداً .

سأله مساعده :

- وماذا عن السوفييت ؟

ابتسم (ستيفان) ، قائلاً :

- لم يعودوا كذلك يا رجل .. إنهم الآن روس وليسوا من

السوفييت .

قال مساعده فى لا مبالاة :

- لا يعينى الفارق كثيراً .. كنت أسأل فحسب : ماذا

عنهم؟.. هل قبولنا العرض الأمريكي يعني رفضنا
لعرضهم؟!

هز (ستيفان) رأسه نفياً ، وهو يقول مبتسماً :
- مطلقاً .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرداً في جدية مباغتة :
- لو أن الأمر بيدي ، لقبّلت العرض الأمريكي
بلا تردد ، ورحلت من هذا المكان ، قبل أن تأتي الرياح بما
لا تشتهي السفن ، وينجح أحدهم في الوصول إلينا ،
ولكن ..

صمت دفعة واحدة ، فسأله مساعده في شفق :
- ولكن ماذا ؟!

تهد (ستيفان) ، وهو يقول :
- يبدو أنني مضطر لتفضيل العرض السوفيتي .. أقصد
الروسي ..

قال المساعِد في حيرة :
- مضطر ؟!

شرد (ستيفان) لحظة ، مغفماً :
- نعم .. الأوامر تحتم ..

بئر عبارته بغتة ، عندما أدرك أنه تجاوز الحدود ،
والتفت إلى مساعده في غضب ، قائلاً في صرامة :
- ولكن لا شأن لك بمثل هذه الأمور .

لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقطه
ووضعه على أذنه لحظة ، قبل أن يقول في هدوء :
- مرحباً يا مستر (كوريوف) .. كيف حالك ؟.. كنت
أنتظر مكالمتك .. هل عرضت الصفقة على رؤسائك .
أجابه (كوريوف) ، في شيء من الحنق :
- إننا نقبل عرضك .
برقت عينا (ستيفان) ، ووجد نفسه يهتف في لهفة :
- حقاً ؟!

ثم استعاد رصانته في سرعة ، مستطرداً :
- دعنا نلتقي إذن ، لنتم الصفقة .

قال (كوريوف) في صرامة :
- سنحتاج إلى بعض الوقت لترتيب الأمور .
قال (ستيفان) في فرح :

- بالطبع يا مستر (كوريوف) .. بالطبع .. إننا نفخر
هذا ، خذوا ما تشاءون من الوقت .. المهم أن نلتقي
الليلة ، لنضع النقاط على الحروف ، ويعدها نتفق على
جدول زمني لإتمام الصفقة .

أجابه (كوريوف) :

- فليكن .. سأتى لزيارتك في العاشرة والنصف .
قال (ستيفان) في لهفة واضحة :

- سأكون في انتظارك .

أنهى (كوروبوف) المحادثة ، وهو يمتلئ بحقن وقلق
لا حدود لهما ، ولوح بكفه ، قائلا :

- أعتقد أنها محاولة لإضاعة الوقت فحسب .

همت (أنستازيا) فى قول شيء ما ، لولا أن ارتفع
رنين جرس الباب ، فى هذه اللحظة ، ففقرت (أنستازيا)
من فراشها ، واستلّت مسدسها ، قائلة :

- سأنظر من القادم .

اتجهت فى حذر إلى الباب ، وسألت بالروسية :
- من بالباب ؟

أتها صوت مألوف ، لأحد زملاء المهنة ، فأسرعت
تفتح الباب ، وهى تسأله :
- ماذا وراءك ؟

كان الرجل يلهث من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- أنا أت حالا من المستشفى .. لقد استعاد (شلينكو)
وعيه ، وأبلغنى اسم الرجل الذى هاجمه .

انعقد حاجبا (كوروبوف) ، وهو يقول :
- أليس (كيلرمان) ؟

هز الرجل رأسه نفيًا فى قوة ، قبل أن يجيب :
- كلا .. إنه الرجل الذى أبلغتم بتخلصكم منه .

ومال إلى الأمام ، مستطردًا :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وكان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمله (كوروبوف) ..
لذا فقد بدا أثر الصدمة عليه واضحا ..
وعنيفًا ..

★ ★ ★

اقتلوهما فور رؤيتهما ..

انطلقت صرخة الزعيم ترج ذلك المطعم المغلق ، وثلاثة
من رجاله يقفزون درجات السلم قفزًا ، فى طريقهم إلى
الطابق العلوى ، حيث يحتمى (أدهم) و (جيهان) ، فى
حين تحرك الباقون فى الطابق السفلى ، واندفع أحدهم
خارجًا ، لحراسة النوافذ الخارجية للطابق الثانى ، حتى
لا يلجأ (أدهم) و (جيهان) للفرار عبرهما ..

وشعرت (جيهان) أنها النهاية بحق هذه المرة ..
أما (أدهم) ، فقد تطلع إلى ساعته ، وهو يلتقط من
حزامه سكينًا كبيرًا ، التقطه من مطبخ المطعم ..
كان هذا هو السلاح الوحيد الذى يمتلكه ، فى مواجهة
ثلاثة مدافع آلية ، يحملها محترفون ، لا يشق لهم غبار ..
وهذا يعنى أن احتمال النجاة لا يتجاوز الواحد فى مائة
ألف ..

أو فى مليون ..

وخفق قلب (جيهان) في عنف ، عندما ظهر الرجال الثلاثة ، وصاح بها (أدهم) :

- ابتعدى !

قالها ، وهو يدفعها بعيدا ، وسط الموائد الخالية في الطابق العلوى ..

وانطلقت الرصاصات ..

وأبل من الرصاصات انهال على المكان ، واخترق الموائد والجدران ، و ...

وفجأة ، دوى انفجار عنيف ..

انفجر جهاز (الميكرويف) ، وتطايرت شظاياه المحترقة في كل مكان ، وأطاح بأحد المحترقين الأربعة

في الطابق السفلى ، وأصاب اثنين من الباقيين بجراح ..

وباغت المحترقين الثلاثة في الطابق العلوى ..

باغتهم فتوقفوا عن إطلاق النيران لحظة واحدة ، وهم يلتفتون في حدة إلى حيث دوى الانفجار ..

وعندما اعتدلوا ، في اللحظة التالية ، كانت في انتظارهم مفاجأة مذهشة ..

كان (أدهم) ينقض عليهم ، بوحدة من موائد المطعم ، وهو يطلق صرخة قتالية قوية ، انتفضت لها

أجسادهم ، على الرغم من خبرتهم القتالية الطويلة ..

واستدارت مدافعهم صوبه في سرعة ، إلا أنها لم تجد الوقت الكافى للاتطلاق ، فقد نفع (أدهم) المائدة في وجوههم ، ودفعهم أمامه في سرعة وقوة ، حتى بلغ حافة السلم ، ففقد ثلاثتهم توازنهم ، وسقطوا يتكحرجون فوقه بدوى هائل ..

وصرخ الزعيم غاضبا :

- ماذا فعل بكم أيها الأغبياء ؟

هب ثلاثتهم واقفين ، واستعد اثنان منهم أسلحتهم ، في حين هتب الثالث في دهشة ساخطة :

- أين سلاحى ؟

أتاه صوت (أدهم) من أعلى ، صانحا في سخرية :

- ها هو ذا .

انتبه الرجل ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أن (أدهم) قد اختطف مدفعه الآلى من يده ، قبل أن يدفعه مع زميليه

خارج السلم بلحظة واحدة ..

وأنه يصوبه إلى الجميع الآن ..

ويطلق النار ..

اندفع المحترقون الستة نحو باب المطعم ، وزعيمهم يهتف :

- إلى الخارج .. انسحاب منظم إلى الخارج .

كانت رصاصات (أدهم) تتطاير في كل مكان ، وهم يقفزون خارجين ، وسقط أحدهم صريحا ، وأصيب ثان ، قيل أن يغادروا المكان تماما ..

وهتفت (جيهان) ضاحكة :

- مرحى يا سيادة العميد .. هكذا يكون العمل .
ثم سألته في شغف :

- ولكن أخبرني .. لماذا لم تطلق النار عليهم مباشرة ؟
هز كتفيه ، قائلا :

- لست أدرى .. ربما كانت عادة تكونت مع الوقت ،
فأنا أبغض القتل المفرط دوماً .
قالت في دهشة :

- ولكن كل شخص حي منهم . يعنى فرصة جديدة لموتنا .
ابتسم ، قائلا :

- الله (سيحانه وتعالى) ينصر القوم الصالحين
يا عزيزتى .
وعلى الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، خفى قلب
(جيهان) في قوة ..

لقد خاطبها بلقب (عزيزتى) ..
نطقه في يسر وسهولة ، كما لو أنه ينبع من قلبه
مباشرة ..

أو من أعماق مشاعره ..

والعجيب أنه هو أيضا انتبه إلى هذا ..

هو أيضا لاحظ أنه خاطبها بنفس اللقب ، الذى اعتاد
مخاطبة (منى) به دائما ..

ولم يدر لماذا فعل هذا ؟

الآن وجودها إلى جواره يذكره بعملياته السابقة مع
(منى) ؟
أم لأنها جذبت انتباهه بالفعل ؟ ..

نقض الاحتمال الأخير عن رأسه في عنف ، وهو يقول
في حزم :

- سيعاودون الهجوم حتماً .

سألته في اهتمام :

- وما الذى يمكننا فعله عندئذ ؟

أجاب بسرعة :

- أن نواصل المقاومة ، حتى آخر رمق .

ثم أشار بيده ، مستطرذا :

- وأوّل ما نفعله هو أن نهبط إلى أسفل ، فالتيران

لا تزال مشتعلة في المطبخ ، وسنحصل منها على ما نشعل
به قنابلنا .

ضحكت قائلة :

- يا للمفارقة !! تستخدم نيرانا مشتعلة لإشعال فتيل قنبلة بسيطة !

هز كتفيه ، قائلاً :

- الأمور تفرض نفسها دائماً .

هبطاً معاً إلى الطابق السفلى في حذر ، و (أدهم) يحمل مدفعه الآلي يميناه ، ويمسك زجاجة كحول بيسراه ، في حين حملت هي زجاجتين ، وهي تتحسس موضع قدميها في قلق بالغ ..

كانت النيران تلتهم مطبخ المطعم في شراهة ، وألسنتها المتطايرة تهدد المكان كله بحريق كبير ، فغمضت :
- أعتقد أنهم ليسوا بحاجة لقتالنا ، فلو تركونا وحدها ، ستلتهمنا هذه النيران بعد حين .

قال في حزم :

- هذا يعني أنه من المحتم أن نحسم الموقف ، قبل أن يأتي ذلك الحين .

سألته :

- وكيف هذا ؟

انحنى في حذر ، يراقب الرجال المحيطين بالمكان ، ومدافعهم الآلية متحفزة للغاية ، قبل أن يجيب :
- سنجد وسيلة ما .. سنجد وسيلة بإذن الله .

لم يكن يدرك لحظتها أن زعيم المحترفين كان يجري اتصالاً خاصاً ..

كان يتحدث مع الجنرال (تورنسول) مباشرة ، وهذا الأخير يسأله متوتراً :

- ماذا تعني بأنكم لم تتفقدوا المهمة بعد ؟! .. إنكم عشرة رجال ، مقابل رجل واحد !

أجاب الزعيم في توتر :

- رجل وفتاة .

هتف (تورنسول) في حدة ساخرة :

- حقاً ؟! .. رجل وفتاة ؟! .. هنا تكمن الصعوبة إذن ..

وجود الفتاة يربكم أيها المراهقون .. أليس كذلك ؟

زفر الزعيم في توتر ، قبل أن يقول :

- الرجل أكثر من محترف يا جنرال .. إنه خبير

محكك .. لقد حاصره داخل مطعم عادي ، فحول كل شيء

فيه إلى سلاح فتاك ، وخسرنا خمسة رجال في الهجوم

الأول .

كادت عينا الجنرال تجحظان ، وهو يهتف ثائراً :

- خمسة ؟! .. خسرت خمسة رجال دفعة واحدة ..

يا للبشاعة ! .. أي فريق أنتم ؟! .. أنا مضطر إلى الحضور

بنفسي ؛ لتغيير حفاضاتكم ؟!

العقد حاجبا الزعيم في عصبية ، وقال :

- فليكن يا جنرال .. لا داعي للثورة والسفرية ..
سنشن هجوما مركزا ، ولن نبالي هذه المرة بما يمكن أن
نحدثه من ضجة .. سد أذنك يا جنرال ، فصوت القتال
سيكون مسموعا هذه المرة ، من الطرف الآخر للمدينة .
وأنتهى الاتصال ، مستطرذا في حزم :
- وهذا وعد .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، قائلا :

- حسن يا رجال .. سنستخدم الصواريخ هذه المرة .
بدا الجنل في عيونهم ، وأندفع اثنان منهم إلى
السيارة ، وأخرجوا من حقيبتها مدفعين من المدافع
المحمولة على الكتف ، وصوبها كل منهما إلى المطعم ،
انتظارا لأوامر الزعيم ..

ومن داخل المطعم ، انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :
يبدو أن الأمور قد بلغت هذا بالخطوة بالعل .
اتسعت عينا (جيهان) في ارتياح ، وهي تحقق في
المدفعين ، وهتفت :

- رباه !.. سيستخدمون الصواريخ .

تلفت (أدهم) حوله ، بحثا عن مخرج من هذا
المأزق ، ولكن المكان بدا له فجأة أشبه بمصيدة محكمة ..

النيران وألسنة اللهب تندلع عند المخرج الخلفي
لمطبخ ..

وخمسة من المحترفين يسيطرون على المدخل
الأمامي ، واثنان منهم يصوبان إلى المطعم مدفعين
صاروخيين ، في انتظار إشارة من زعيمهما ، الذي رفع
يده ، وهو يقول :
- استعدا .

عمل عقل (أدهم) بسرعة ، وعينه تدوران في المكان
في سرعة لا تقاها إلا سرعة الأفكار المشتتة في رأسه ،
في حين ألجم التوتر لسان (جيهان) تماما ، و ...
وخلف الزعيم يده ، وهو يهتف في صرامة :
- أطلقا .

وانطلق الصاروخان نحو المطعم ..
وكان الاتجار هائلا .

(انتهى الجزء الأول بحمد الله)

ويليه الجزء الثاني

[عقارب الساعة]